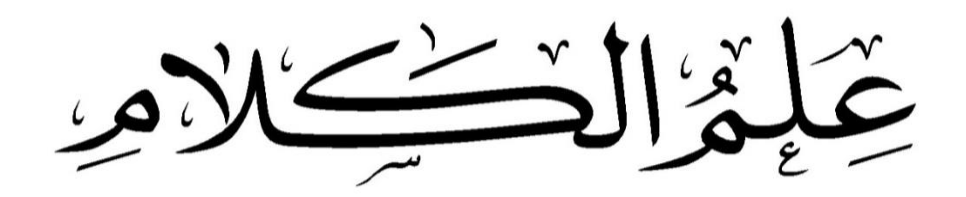


ومحاورات هادفة

بقلم

خميس جابر صقر

مدير عام شؤون القرآن الكريم بالأزهر الشريف

وعضو لجنة مراجعة المصاحف (سابقًا)

بيانات الإصدار

عنوان الإصدار: علم الكلام ومحاورات هادفة.

اسم المؤلف: خميس جابر صقر.

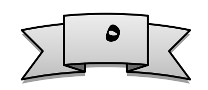
بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللّهِ فَإِنَّ اللّهِ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾

[آل عمران: ١٩]

صدق الله العظيم

الفهــرس



بسم الله الرحمن الرحيم

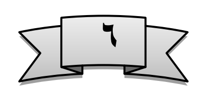
مُقَدِّمَة

الحمدلله المتجلّى فى علاه.. علام الغيوب فى أرضه وسماه.. القائل وقوله الحق: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥]..

والصلاة والسلام على خير مُبَلِّغٍ عن الله.. وعلى آله وأصحابه وأتباعه ومن والاه..

وبعد

فمجال الكلام واسع الفضاء.. تنتظمه عقود وقلائد النبهاء.. وخلافات الفقهاء.. وإغواء الشعراء.. وإغراء السفهاء.. والجميع يغوص فى بحاره.. فمن خائضٍ فى غماره.. إلى مختفٍ فى غباره.. ومن متقلب فى درجاته وأطواره.. إلى منحطٍّ إلى دركاته وأغواره.. وعلم الكلام تهافت الفلاسفة، وقضايا المناطقة يرتقى فى ضروبه وأشكاله فئام من الخاصة.. وفى أصوله وفروعه ومنطوقه ومفهومه أهل الأصول.. بل إن علم الكلام فاق الكلام.. وبقيت أطروحات المنظِّرين والمجادلين والمحاورين تأخذ بالألباب.. فى محاولات لتقييم القضايا وتمحيص المعارف وتهذيب العلوم. وهذا الكتاب نعرض فيه لما أحدثه المتكلمون والمجادلون فى دين الله الثابت.. ببواعث اختلطت فيها المتغيرات بالثوابت.. كما نعرض فيه لطبقات الصحابة والتابعين والفقهاء وأهل الحلِّ والعقد بقصد حفظه من التلبيس والخلط.. وحفظ الأمة من الرفع والحط.. وإن القارئ لهذا الكتاب سيتأمل فيه معايير الكلام ومقاييس الحكم.. وضوابط النقل.. ودوافع النقض.



فى روايات مثبتة.. وحقائق مجلوَّة.. ومعادن لا تقبل الصدأ.. حذرًا من الفتن.. ودرءًا للشبهات.. ودعمًا لجواهر الحقائق والأصول فى كل معقول ومنقول.

هذا وأسأل الله التوفيق والقبول.. فهو خير معين ومأمول .

الشيخ خميس جابر صقر

(إنكار أئمة الإسلام ما أحدثه المتكلمون فى الدين من أصحاب الكلام والشبه والمجادلة)

ذكر السيوطي إنكار خيار هذه الأمة على طبقاتها طبقة طبقة من أهل العلم، والرد على أهل الجدال والخصومات في الدين والمتعلقين بالكلام والمعرضين عن التسليم بالاشتغال بالتكلف بعد الأخبار المرفوعة إلى المصطفي ﷺ وأقاويل السلف الصالح.

إذ الله تعالى لم يخل زمانا من قائم لله ينصر دينه، ودفاع من يكيده عنه كما قال ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتى أمر الله**»(١).

قال علي بن المديني رحمه الله في هذه الطائفة: هم أصحاب الحديث. وقال ﷺ: «**إن لله عند كل بدعة كيد الإسلام وأهله بها وليًا يذب عنه**»(٢).

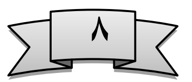
وقال ﷺ: «**يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين**» (٣).

---

(١) صحيح: رواه مسلم رقم (٥٠٥٩)، والبيهقي في السنن الكبرى رقم (١٩٢٩).

(٢) قال الألباني في السلسلة الضعيفة : (٢ / ٢٦١): مَوضُوعٌ؛ ورواه العقيلي في الضعفاء (٢٦٣).

(٣) صحيح: رواه البزار فى مسنده رقم (٩٤٢٣، ٩٤٢٩)، وصاحب مسند الشامين رقم (٥٩٩)، وصاحب مجمع الزوائد رقم (٦٠١)، انظر مشكاة المصابيح رقم (٢٤٨).



وقال ﷺ: «**رحمة الله على خلفائى**»، قيل: ومن خلفاؤك؟ قال: «**الذين يحيون سنتى ويعلمونها للناس**».

ثم عقد أبوالفضل المقرئ رحمه الله بابا لإنكار أئمة الإسلام مما أحدثه المتكلمون في الدين من أصحاب الكلام والشبه والمجادلة علي طبقات على ما أخرجه الهِرَوِىّ رحمه الله.

(الطبقة الأولى)

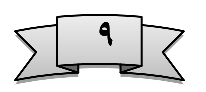
من صحابة رسول الله ﷺ ورضى عنهم وهم الذين قال الله فيهم: ﴿فَإِنْ آمَنُواْ بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَواْ﴾ [البقرة: ١٣٧].

وأخرج فيه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كتب إلى أبي موسى رضي الله عنه: أما بعد.. فإن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة.

وأخرج عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: إن حديثكم شر الحديث وإن كلامكم شرر الكلام وإنكم قد حدثتم الناس، حتى قيل: قال فلان فترك كتاب الله فمن كان قائمًا فليقم في كتاب الله وإلا فليجلس ثم أخرج قصة صبيغ مع عمر.

وأخرج عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: يخرج في آخر الزمان أقوام يتكلمون بكلام لا يعرفه أهل الإسلام، ويدعون الناس إلى كلامهم. فمن لقيهم فليقاتلهم فإن قتلهم أجر عند الله.

وأخرج عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي



آيَاتِنَا﴾ [الأنعام: ٦٨] قال: هم أصحاب الخصومات والمراء في دين الله.

وأخرج عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إذا كانت سنة خمس وثلاثين ومائة خرج شياطين من البحر وكان سليمان حبسها في أشعار الناس وأبشارهم يحدثون الناس ليفتنوهم فاحذروهم.

وأخرج عن طاووس[١] قال: إذا مضت سنة ثلاث وثلاثين ومائة ظهرت شياطين جزائر البحور. فتهيأوا بهيئة العلماء، فلا تأخذوا العلم إلا ممن تعرفون.

وأخرج عن عكرمة[١] أن نجدة [٢] قال لابن عباس رضي الله عنهما: كيف معرفتك بربك؟ لأن من قبلنا اختلفوا علينا فقال: إن من ينصب دينه للقياس لا يزال الدهر في التباس مائلا عن المنهاج طاعنا في الاعوجاج أعرفه بما عرف به نفسه ومن غير روية. وأصفه بما وصف نفسه.

وأخرج عن وهب بن منبه [٣] قال: كنت أنا وعكرمة نقود ابن عباس بعد ما ذهب بصره حتى دخلنا المسجد الحرام فإذا قوم يمترون في حلقة لهم فقال لنا: أما بي حلقة المراء فانطلقنا به إليهم فوقف عليهم فقال: ما علمتم أن لله عبادًا أصمتهم خشيته من غير

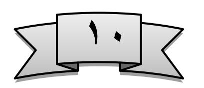
---

(١) طاووس بن كيسان اليماني أبو عبد الرحمن الميري يقال اسمه ذكوان وطاووس لقب مات سنة ١٠٦ وقيل بعد ذلك.

(١) عكرمة بن عبد الله مولى ابن عباس مات سنة ١٠٧ هوقيل بعد ذلك.

(٢) نجدة بن عامر عبد الله مولى ابن عباس مات سنة ١٠٧ هوقيل بعد ذلك.

(٣) وهب بن منبه مات سنة ١١٠ هـ.



عي ولا بكم وأنهم لهم العلماء الفصحاء النبلاء الطلقاء غير أنهم إذا تذكروا عظمة الله طاشت لذلك عقولهم وانكسرت قلوبهم وانقطعت ألسنتهم حتى إذا استفاقوا من ذلك تسارعوا إلى الله بالأعمال الزكية فأين أنتم منهم؟.

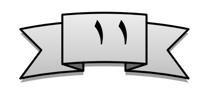
وأخرج عن معاوية ﵁ أنه قام فقال: أما بعد.. فإنه بلغني أن رجالا منكم يتحدثون بأحاديث ليست في كتاب الله ولا تعرف عن رسول الله ﷺ أولئك جهالكم.

وأخرج عن ابن مسعود ﵁ قال: تعلموا العلم قبل أن يقبض وقبضه أن يذهب أهله وإنكم تجدون أقواما يقولون إنهم يدعونكم إلى كتاب الله، وقد نبذوه وراء ظهورهم. فعليكم بالعلم وإياكم والتبدع وإياكم والتنطع وإياكم والتعمق وعليكم بالعتيق. وأخرج عن ابن مسعود أيضًا ﵁ قال: لا تمكن صاحب هوى من أذنيه، فيقذف فيهما داء لا شفاء له. وقال مصعب بن سعد ﵁: إما أن يمرض قلبك فتتابعْه، وإما أن يؤذيك قبل أن تفارقه.

وأخرج عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا لم يعلم الشيء لم يقل فيه برأيه ولم يتكلفه.

وأخرج عن ابن مسعود ﵁ أن رجلا سأله عن شيء فقال: ما سألتمونا عن شيء من كتاب الله نعلمه أخبرناكم به، أو سنة من نبي الله ﷺ أخبرناكم ولا طاقة لنا بما أحدثتموه.

وأخرج عن النزال بن سبرة ﵁ أنه قال: يا أيها الناس إن الله قد أنزل أمره ونهيه



وتبيانه فمن أتى الأمر من قبل وجهه فقد بين له ومن خالف فوالله ما نطيق خلافكم.

وأخرج عن أبي بن كعب ﵁ [1] قال: ما استبان لك فاعمل به وانتفع به وما شبه عليك فآمن به، وكِلْه إلي عالمه.

وأخرج عن مجاهد ﵁ قال: قيل لابن عمر رضي الله عنهما إنَّا نجده يقول كذا وكذا فأدخل إصبعيه في أذنيه مخافة أن يدخل قلبه منه شيء.

وأخرج عن ابن عمر ﵁: قال إن القدرية حملوا ضعف رأيهم على مقدرة الله وقالوا: (لِمَ) ولا ينبغي أن يقال له (لِمَ) لأنه ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

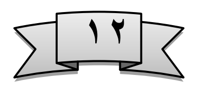
وأخرج عن معاذ بن جبل ﵁ قال: يفتح القرآن على الناس، حتى تقرأه المرأة والصبي والرجل، فيقول الرجل: وقد قرأت القرآن فلم أُتَّبَع والله لأقومن به فيهم لعلي أُتَّبَع فيقوم به فيهم فلا يُتَّبَع، فيقول: قد قرأت القرآن فلم أُتَّبَع، وقمت به فيهم فلم أُتَّبَع لأحتظرنَّ في بيتي مسجدًا لعلي أُتَّبَع. فيحتظر في بيته مسجدًا فلا يُتَّبَع، فيقول: والله لآتينهم بحديث لا يجدونه في كتاب الله، ولم يسمعوه عن رسول الله لعلي أُتَّبَع قال معاذ: فإياكم وما جاء به ضلالة.

وأخرج عن معاذ ﵁ قال: اعلم أن للحق نورًا وإياكم ومغمضات الأمور.

وأخرج عن ابن مسعود ﵁ قال: من كان منكم مؤتسيًا، فليأتس بأصحاب محمد

---

(١) أبي بن كعب بن عبيد صحابي جليل توفى سنة ٢١ هـ.



ﷺ فإنهم كانوا أبر قلوبا وأعمق علمًا وأقل تكلفًا وأقوم هديا وأحسن أخلاقًا اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في آثارهم فإنهم كانوا على هدى مستقيم.

(الطبقة الثانية)

المتقدمون من فقهاء التابعين، وأخرج فيه عن الحسن ﵁ قال: لا تجالس أصحاب الأهواء وإن ظننت أن عندك الجواب.

وأخرج عن هشام قال: كان الحسن ومحمد يقولان: لا تجالسوا أصحاب الأهواء ولا تسمعوا منهم ولا تجادلوهم.

وأخرج عن ابن سيرين قال: لو أردت المراء لأحسنته.

وأخرج عن ابن سيرين أيضًا قال: ما أخذ رجل ببدعة فيراجع سنة.

وأخرج عن ابن عون(1) في هذه الآية: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ [النساء: ٦٣] قال: كان رأي محمد بن سيرين أنهم أصحاب الأهواء.

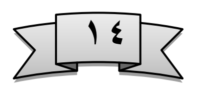
وأخرج من طريق عبد الرزاق(2) أخبرنا معمر(3) قال: كان ابن طاووس جالسا فجاء رجل من المعتزلة فجعل يتكلم، فأدخل ابن طاووس إصبعيه في أذنيه وقال لابنه: أي بني أدخل إصبعيك في أذنك واسدد لا تسمع من كلامه شيئا. قال معمر: يعني إن القلب ضعيف، قال عبد الرزاق – وقال لي إبراهيم بن يحيى – إني أرى المعتزلة عندكم كثيرا، قال: قلت نعم ويزعمون أنك منهم قال: أفلا تدخل معي هذا الحانوت حتى أكلمك؟

---

(١) ابن عون: لعله ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود توفى سنة ١١٥ هـ.

(٢) عبد الرزاق الصنعاني توفى ٢١١ هـ.

(٣) معمر بن راشد توفى ١٥٣ هـ.



قلت لا، ثم قلت: لأن القلب ضعيف، وإن الدين ليس لمن غلب.

وأخرج محمد بن الحنفية [1] أيضًا قال: إن من قبلكم نقروا وبحثوا فتاهوا فجعل الرجل ينادي من بين يديه، فيجيب من خلفه وينادي من خلفه فيجيب من بين يديه.

وأخرج عن ابن الحنفية أيضًا قال: لا تجالس أصحاب الخصومات فإنهم يخوضون في آيات الله.

وأخرج عن عطاء بن أبي رباح[2] في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا﴾ [الأنعام: ١٥٩] قال لهم: أصحاب الخصومات والمراء في دين الله.

وأخرج عن مطرف[3] قال: أكثر أتباع الدجال اليهود وأهل البدع.

وأخرج عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ﴾ [الأنعام: ١٥٣] قال: البدع والشبهات.

وأخرج عن عطاء الخراساني[4] قال: ما يكاد الله يأذن لصاحب بدعة بتوبة.

وأخرج عن عطاء قال: بلغني أن فيما أنزل الله على موسى: لا تجالس أهل الأهواء فيحدثوا في قلبك ما لم يكن.

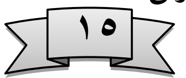
---

(١) محمد بن الحنفية: محمد بن على بن أبي طالب الهاشمي أبو القاسم بن الحنفية المدني مات بعد الثمانين.

(٢) عطاء بن أبي رباح بن أسلم بن صفوان تابعي توفى سنة ١١٥هـ.

(٣) مطرف بن عبد الله بن الشخير توفى سنة ٩٥هـ.

(٤) عطاء الخراساني المعروف بالمقنع توفى سنة ١٦٣هـ.



وأخرج عن الحسن: أهل البدع بمنزلة اليهود والنصارى.

وأخرج عن القاسم بن محمد[1] أنه مر بقوم يذكرون القدر، فقال: تكلموا فيما سمعتم الله ذكر في كتابه وكفوا عما كف الله عنه.

وأخرج ابن أبي العالية[2] أنه كان يقول: تعلموا الإسلام فإذا تعلمتموه فتعلموا القرآن فإذا تعلمتموه فتعلموا السنة فإن سنة نبيكم صراط مستقيم وإياكم وهذه الأهواء المؤذية التي تلقي بين الناس العداوة، وعليكم بالأمر الأول.

وأخرج عن مصعب بن سعد ﷺ قال: لا تجالس صاحب بدعة إما أن يمرض قلبك فتتابعه وإما أن يؤذيك قبل أن تفارقه.

وأخرج عن سعيد بن جبير[3] قال في قوله: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [العنكبوت: ٤٦] – قال: أهل الحرب أدعوهم فإن أبوا فجادلوهم بالسيف.

(١) القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق: توفى سنة ١٠٧ هـ- ٧٢٥م
(٢) أبو العالية: هو الرياحي أو العالية رفيع بن مهران مات ٢٩٥ هـ.
(٣) سعيد بن جبير من عيون التابعيين الأسدي قتله الحجاج سنة ٩٥ هـ.

(الطبقة الثالثة)

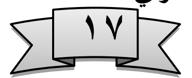
ثم قال: وأخرج فيه عن أبي الصلت(٤) شهاب بن خراش قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى رجل: سلام عليك أما بعد فإني أوصيك بتقوى الله والاقتصاد فى أمره واتباع سنة رسوله ﷺ وترك ما أحدث المحدثون بعد. فقد جرت سنته وكفوا مؤونته ثم اعلم أنها لم تكن بدعة قط، إلا وقد مضى قبلها ما هو دليل عليها، وعبرة فيها فعليك بلزوم السنة، فإنها لك بإذن الله عصمة، فإن السنة سنها من قد علم، وفي خلافها من الخطأ والزلل والتعمق والحمق، فارض لنفسك ما رضي به القوم لأنفسهم فإنهم عن علم وقفوا، وببصرنا قد كفوا، وهم كانوا على كشف الأمور أقوى، وبفضل فيه لو كان أخرى فإنهم هم السابقون ولئن كان الهدى ما أنتم عليه لقد سبقتموهم إليه ولئن قلت حدث بعدهم حدث ما أحدثه إلا من اتبع غير سبيلهم ورغب بنفسه عنهم ولقد تكلموا فما دونهم مقصر وما فوقهم محسر لقد قصر دونهم أقوام فجفوا وطمح عنهم آخرون فغلوا وأنهم مع ذلك على صراط مستقيم فلئن قلت فأين آية كذا؟ ولم قال الله كذا وكذا؟ لقد قرأوا منه ما قرأتم، وعلموا من تأويله ما جهلتم ثم قالوا بعد ذلك كتاب بقدر.

وأخرج عن جعفر بن برقان(١) أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قال لرجل وسأله عن شيء من الأهواء: عليك بدين الصبي الذي في الكتاب والأعراب، واله عما سواهما.

---

(٤) أبو الصلت شهاب به خراش بن حوشب الشيباني الواسطى توفى بعد المائتين.

(١) جعفر بن برقان الكلاني ابو عبد الله الرقي مات سنة ٢٥٠ هـ.



وأخرج عن عمر بن عبد العزيز ﵁ أنه كتب إلى ابنه عبد الملك: ليكن عليك علم الله الذي أنزله على نبيه ﷺ ودل فيه على محابّه ومكارهه وعرّف الناس فيه أمره ودعاهم إلى كتابه وهداهم إلى كرامته ووقاهم به بأسه وأوجب لهم به رضوانه وأنزلهم به أفضل منازل خلقه هو العلم الذي لم يجهل من عَلِمَهُ ولم يعلم من جَهِلَهُ، آثِرْه على ما سواه وانْته عن زواجره فإن ذلك يحق على من علمه واتبع طاعة الله فيما أوصى به هو نور الله الذي أنزل وهدى به أولياءه ومن لم يكن له حظ فيه لم ينتفع بشيء منه وكان في ظلمة ما بقي في دنياه.

وأخرج عن عمر بن عبد العزيز ﵁ قال: إذا سمعت المراء فاقصر.

وأخرج عن مسلم بن يسار(٢) قال: إياك والمراء فإنها ساعة جهل العالم وبها يبتغي الشيطان زلته.

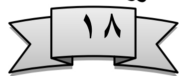
وأخرج عن أبي قلابة(٣) قال: لا تجالس أصحاب الأهواء فإني لا آمن عليك أن يغمسوك في ضلالتهم ويلبّسوا عليك ما كنت تعرف.

وأخرج عن إبراهيم النخعي في قوله: (أفتمارونه) قال: أفتجادلونه، وفي قوله: ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء﴾ [المائدة: ١٤] قال أغري بينهم الجدال والخصومات في الدين، وفي قوله: ﴿فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللّهِ﴾ [النساء: ١١٩] قال دين الله.

---

(٢) مسلم بن يسار – أو عبد الله – توفى سنة ١٠٨هـ.

(٣) أبو قلابة الجرمي عبد الله بن زيد بن عمرو ١٠٤هـ.



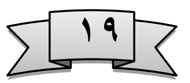
وأخرج عن يحيى بن أبي كثير أيضًا [1] قال: قال سليمان بن داود[2] لابنه: إياك والمراء فإنه ليس فيه منفعة وهو مورث العداوة بين الإخوان.

وأخرج عن يحيى بن أبي كثير قال: إذا رأيت المبتدع في طريق فخذ في غيره. وأخرج عن يحيى بن أبي كثير كذلك أنه قال: ولد الزنا لا يكتب الحديث. وأخرج عن يحيى بن سعيد أنه تلا يوما: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ﴾ [الحجر: ٢١] فقال له جميل بن نباتة العراقي: يا أبا سعيد أرأيت السحر من خزائن الله؟ فقال يحيى: مه ليس هذا من مسائل المسلمين، فقال عبد الله بن أبي حبيبة: إن أباسعيد ليس من أصحاب الخصومة إنما هو إمام من أئمة المسلمين إن السحر لا يضر إلا بإذن الله فتقول أنت بغير ذلك؟ فسكت.

وأخرج عن هشام بن عبد الملك[3] أنه قال لبنيه: إياكم وأصحاب الكلام فإن أمرهم لا يؤول إلى الرشاد. وأخرج عن عمر بن قيس[4] قال: قلت للحكم: ما الذي اضطر المرجئة إلى رأيهم؟ قال: الخصومات.

---

(١) يحي بن أبي كثير بن درهم العنبري البصري أبو غسان توفى سنة ١٠٦ هـ.
(٢) سليمان بن داود أبو الربيع العتكي الزهراني توفى سنة ٢٣٤هـ.
(٣) هشام بن عبد الملك الباهلي – أبو الوليد الطيالسي البصري مات ١٢٧.
(٤) عمرو بن قيس بن مازن الكندي مات سنة ١٤٠ هـ



(الطبقة الرابعة)

ثم قال: وأخرج فيه عن إسحق بن عيسى[1] قال: سمعت مالك بن أنس يعيب الجدال ويقول: كلما جاءنا رجل أجدل من رجل أردنا أن نرد ما جاءنا به نبينا ﷺ عن جبريل عن الله.

وأخرج عن أشهب[2] قال سمعت مالكا يقول: كلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ما نحن عليه إذ لا نزال في طلب الدين.

وأخرج عن مالك: قال: إياكم والبدع، قيل يا أبا عبد الله، وما البدع؟ قال: أهل البدع الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته ولا يسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون لهم بإحسان.

وأخرج عن مالك قال: من طلب الدين بالكلام تزندق.

وأخرج عن عبد الرحمن بن مهدي[3] قال: دخلت على مالك وعنده رجل يسأله عن القرآن فقال: لعلك من أصحاب عمرو بن عبيد، لعن الله عمرا فإنه ابتدع هذه البدع من الكلام ولو كان الكلام علما لتكلم فيه الصحابة والتابعون كما تكلموا في الأحكام والشرائع ولكنه باطل يدل على باطل.

---

(١) إسحق بن عيسى بن نجيح البغدادى أبو يعقوب بن الطباع مات بعد ٢١٤هـ
(٢) أشهب بن عبد العزيز أبو عمرو المصري – ويقال اسمه مسكين مات سنة ٢٠٤هـ
(٣) عبد الرحمن بن مهدي بن حسان الحنبلي أبو سعيد البصري – مات ١١٧ هـ

وأخرج عن مالك قال: ما قلَّت الآثار في قوم إلا ظهرت فيهم الأهواء، ولا قلَّت العلماء إلا ظهر في الناس الجفاء.

وأخرج عن مالك قال: لا أُوتَى برجل يفسر كتاب الله غير عالم بلغات العرب إلا جعلته نكالا.

وأخرج عن جعفر بن محمد[1] قال: إذا بلغ الكلام إلى الله فأمسكوا.

وأخرج عنه قال: تكلموا فيما دون العرش ولا تكلموا فيما فوق العرش فإن قوما تكلموا في الله فتاهوا.

وأخرج عنه قال: لا تتجاوز ما في القرآن.

وأخرج عن سفيان الثورى أن رجلا قال له: أوصني فقال: إياك والخصومة.

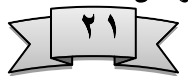
وأخرج عن عبد الله بن داود الخريبي[2] قال: سألت سفيان الثوري عن الكلام فقال: دع الباطل أين أنت من الحق، اتبع السنة ودع الباطل.

وأخرج عن أبي إسحق الفزارى قال: قال الأوزاعي: اصبر نفسك على السنة وقف حيث وقف القوم وقل فيما قالوا وكُفَّ عما كَفُّوا. واسلك سبيل سلفك الصالح فإنه يسعك ما يسعهم ولو كان خيرًا ما خصصتم به دون أسلافكم وأنه لم يدخر عنهم خير

---

(١) جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبي طالب أبو عبد الله المعروف بالصادق الإمام السادس لدى الشيعة الاثنى عشرية مات سنة ٤٨ ه

(٢) عبد الله بن داود الخريبي أبو عبد الرحمن مات سنة ٢٣٢ ه



خبئ لكم دونهم لفضل عندكم وهم أصحاب محمد اختارهم الله وبعثه فيهم.

وأخرج عن حسان بن عطية[3] قال: ما ابتدع قوم في دينهم بدعة إلا نزع الله مثلها من السنة ثم لا يردها عليهم إلى يوم القيامة.

وأخرج عن الأوزاعي قال: بلغني أن الله إذا أراد بقوم شرًّا فتح عليهم الجدل ومنعهم العمل.

وأخرج عن عائشة ومعاذ بن جبل وأبي سعيد الخدري[4] قالوا: قال رسول الله ﷺ: «من وقر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام».

وأخرج عن الفضيل بن عياض[1] قال: من أحب صاحب بدعة أحبط الله عمله، وأخرج نور الإسلام من قلبه. وأخرج عن محمد بن النضر الحارثي قال: كان يقال من أصغى إلى ذي بدعة خرج من عصمة الله.

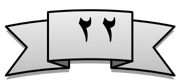
وأخرج عن أبي عمر قال: قال رسول الله ﷺ «من أعرض بوجهه عن صاحب بدعة بغضا له ملأ الله قلبه أمنا وإيمانا ومن انتهر صاحب بدعة أمنه الله يوم الفزع الأكبر ومن أعان على صاحب بدعة رفعه الله في الجنة مائة درجة ومن سلم على صاحب بدعة أو لقيه بالبشر أو استقبله بما يسره فقد استخف بما أنزل الله على محمد ﷺ».

---

(٣) حسان بن عطية المحاربي أبو بكر الدمشقي مات بعد ١٢٠ هـ

(٤) أبو سعيد الخدري: هو سعد بن مالك بن سنان مات ٦٣ أو ٦٤ أو ٦٥ وقيل ٦٤ هـ

(١) الفضيل بن عياض بن مسعود شيخ الحرم ومن كبار الزهاد / خراساني الأصل ثم انتقل إلى مكة =حيث توفى سنة ١٧٨ هـ.



وأخرج عن شعبة قال: كان سفيان الثورى يبغض أهل الأهواء، وينهى عن مجالستهم أشد النهي وكان يقول: عليكم بالأثر وإياكم والكلام في ذات الله. وأخرج عن أنس ﷺ عن النبى ﷺ قال: «**إن الله حجز التوبة عن كل صاحب بدعة**[٢]».

وأخرج عن سعيد بن أبي مريم[٣] قال: سمعت الليث بن سعد[٤] يقول: بلغت الثمانين وما نازعت صاحب هوى قط.

وأخرج عن سلام بن أبي مطيع قال: رأى أيوب[٥] رجلا من أصحاب الأهواء فقال: إني لأعرف الذلة في وجهه. ثم قرأ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ الْعِجْلَ﴾ [الأعراف: ١٥٢] ثم قال: هذه لكل مغتر.. قال سلام: قال رجل من أصحاب الأهواء لأيوب: يا أبا بكر أسألك عن كلمة.. فولَّى أيوب وهو يقول: ولا نصف كلمة.

وأخرج عن أحمد بن مهدي[١] قال: سألت أبا جعفر النفيلي[٢] عن الخوض في الكلام فقال: سئل الأوزاعي عنه فقال: اجتنب علما إذا بلغت فيه المنتهى نسبوك للزندقة، عليك بالاقتداء والتقليد. وحكى عن يعقوب بن عبد الله الماجشون[٣] قال:

---

(٢) صحيح: رواه البيهقى والطبرانى، انظر صحيح الترغيب والترهيب رقم (٥٤)

(٣) سعيد بن أبي مريم: سعيد بن الحكم بن أبي مريم الجمحي بالولاء – أبو محمد البصري مات سنة ٢٢٤هـ

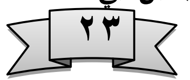
(٤) الليث بن سعد من بلدة (طوخ) بمصر، وهو من أشهر فقهاء مصر.

(٥) أيوب بن أبي تميمة كيسان السختياني أبو بكر، المصري مات سنة ١٣١هـ

(١) أحمد بن مهدي: أبو جعفر بن مهدي بن رستم الأصبهاني توفى ٢٧٢ هـ.

(٢) أبو جعفر النفيلي. عبد الله بن محمد بن على فضيل مات ١٣٤ هـ

(٣) يعقوب بن عبد الله الماجشون يعقوب بن أبي مسلمة التيمي أبو سيف – مات ١٢٠هـ



الكلام مخاطرة.

وأخرج عن خصيب الجزري[٤] قال: مكتوب في التوراة لا تجالس أهل الأهواء فيدخل في قلبك شيء من ذلك فتدخل النار.

(٤) خصيب الجزري بن عبد الرحمن الجزرى أبو عون رمي بالإرجاء توفى ١٣٧ هـ

(الطبقة الخامسة)

ثم قال: وأخرج فيه عن نوح الجامع[٥] قال: قلت لأبي حنيفة: ما تقول فيما أحدث الناس من الكلام في الأعراض والأجسام؟ فقال: مقالات الفلاسفة عليك بالأثر وطريقة السلف وإياك وكل محدثة فإنها بدعة.

وأخرج عن أبي يوسف القاضي قال: من طلب الكلام تزندق.

وأخرج عن أبي يوسف قال: العلم بالخصومة والكلام جهل والجهل بالخصومة والكلام علم.

وأخرج عن أبي عبد الرحمن الأعرج قال: قال لي سليمان الخواص: ما من رجل أراه على حال (المراء) إلا رجوته قبل أن يتعلم القرآن والسنة فإذا تعلم فلم ينزع عن ذلك المراء فلست أرجوه.

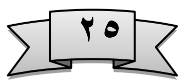
وأخرج عن ابن المبارك[١] قال: الكذب للروافض والخصومة للمعتزلة والدين لأهل الحديث.

وأخرج عن ابن المبارك قال: صاحب البدعة على وجهه غبار وإن ادَّهن فى اليوم ثلاثين مرة. وأخرج عن ابن المبارك أنه أنشد:

---

(٥) نوح الجامع، بن أبي مريم أبو عصمة المروزي القرشي مشهور بكنيته ويُوصَف بالجامع لجمعه للعلوم مات س ١٧٣ هـ

(١) ابن المبارك: عبد الله – المروزى عالم خرسان ومحدثها وكان تركي الأصل ثم تزهد في أواخر حياته مات ١٨١ هـ



أيهـــا الطالـــب علمـــ إيـــت حمـــاد بـــن زيـــ
فخـــذ العلـــم بحلـــ ثـــم قيـــده بقيـــ
ودع البدعـــة مـــ أثـــار عمـــرو بـــن عبيـــ

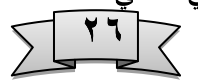
وأخرج عن محمد بن الحسن[٢] صاحب أبي حنيفة قال: قال أبو حنيفة: لعن الله عمرو بن عبيد فإنه فتح للناس الطريق إلى الكلام فيما لا يعنيهم من الكلام. قال: وكان أبو حنيفة يحثنا على الفقه وينهانا عن الكلام.

وأخرج عن رسته[٣] قال: كان لعبد الرحمن بن مهدي جارية، فطلبها منه رجل فكان منه شبه العدة فلما عاد إليه قيل لعبد الرحمن: هذا صاحب الخصومات فقال له عبد الرحمن: بلغني أنك تخاصم في الدين فقال: يا أبا سعيد إنما نُصَنَّعُ عليهم لنحاججهم بها، فقال له عبد الرحمن: أتدفع الباطل بالباطل؟ إنما تدفع كلاما بكلام قم عني والله لا بعتك جاريتي أبدًا.

وأخرج عن عبد الرحمن بن مهدي قال: من طلب العربية فآخره مؤدب، ومن طلب الشعر فآخره شاعر يهجو أو يمدح بالباطل، ومن طلب الكلام فآخر أمره الزندقة، ومن طلب الحديث فإن قام به كان إماما، وإن فرَّط فيه ثم أناب يوما يرجع إليه وقد عتبت. وأخرج عن طلحة بن عمرو[١] قال: لا تجادلوا أهل الأهواء، فإن لهم عرة كعرة الجرب. وأخرج عن الفضيل بن عياض: قال لا تجلس مع صاحب هوى فإني أخاف عليك مقت

---

(٢) محمد بن الحسن بن وافد أبو عبد الله ١٨١ هـ.
(٣) رسته: عبد الرحمن بن عمر بن يزيد الزهري أبو الحسن الأصبهاني – لقبه رسته مات ٢٥٠ هـ
(١) طلحة بن عمرو بن عثمان الحضرمي المكي مات ١٥٢ هـ.



الله.

وأخرج عنه قال: الحياة الطيبة الإسلام والسنة. وأخرج عنه: لا يشم مبتدع رائحة الجنة أو يتوب. وأخرج عنه قال: آكل عند اليهودي والنصراني أحب إليَّ من أن آكل عند صاحب بدعة.

وأخرج عن بسطام العسكري أنه قيل له: ما أشد حرصك على الحديث؟ قال: وما أحب أن أكون في قطار إلى رسول الله ﷺ ثم روى حديث ابن عباس مرفوعا: «**كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببى ونسبى**»(٢). وأخرج عن محمد بن السماك قال: الأخذ بالأصول وترك الفضول من أفعال ذوى العقول. وأخرج عن أبي عاصم(٣) قال: إياكم وأصحاب الجدال والخصومات فإنهم شرار أهل القبلة.

---

(٢) رواه البيهقى في السنن الكبرى رقم (١٣٧٧٦)، والطبرانى في الكبير رقم (٢٥٦٧).
(٣) الهجيمي – خالد بن الحارث بن عبيد الهجيمي أبو عثمان البصري مات ١٨٦ هـ.

الطبقة السادسة

ثم قال: وأخرج فيه عثمان بن سعيد الدارمي(٤) قال: ذهبت يوما أحكى ليحيي بن يحيي(٥) بعض كلام الجهمية لأستخرج منه نقضا عليهم وفي مجلسه يومئذ الحسين بن عيسى البسطامى(١) وأحمد بن الحريش القاضي ومحمد بن رافع(٢) وأبو قدامة السرخي(٣) وغيرهم من المشايخ فنهرنى يحي بغضب، وقال: اسكت.. وأنكر على المشايخ الذين في مجلسه استعظاما أن أحكي كلامهم.

وأخرج من طريق الكرابيسي قال: قال الشافعي: كل متكلم على الكتاب والسنة فهو الجد، وما سواه فهو هذيان.

وأخرج من طريق يونس بن عبد الأعلى قال: قال الشافعي: لا يقال للأصل لم ولا كيف إنما هو التسليم له.

وأخرج عن أبي القاسم عثمان بن سعيد الأنماطى قال: سمعت المزني(٤) يقول: كنت أنظر في الكلام قبل أن يقدم الشافعي فلما قدم الشافعي أتيته فسألته عن مسألة في

---

(٤) عثمان بن سعيد الدرامي بن خالد السستاني توفى سنة ٢٨٠ ه.

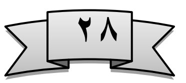
(٥) يحيى بن يحيى بن يسكير بن عبد الرحمن التميمي أبو زكريا النيسابورى توفى سنة ٢٢٦ ه.

(١) الحسين بن عيسى البسطامى بن حمدان الطاقى أبو على البنطامي القومسي نزل نيسابور. مات سنة ٢٤٧ ه

(٢) محمد بن رافع: القشيري النيسابورى مات سنة ٢٤٥ ه

(٣) أبو قدامة السرخي: عبيد الله بن سعيد يحيى اليشكري توفى عام ٢٢٤ ه

(٤) إسماعيل بن يحيى المزني عام ٢٦٤ ه



الكلام فقال لي: تدري أين أنت؟ قلت: نعم أنا في المسجد الجامع بالفسطاط فقال له: أنت في تاران. قال أبو القاسم: وتاران موضع في بحر القلزم لا تكاد تسلم منه سفينة ثم ألقى عليَّ مسألة من الفقه فأجبت فيها فأدخل شيئا أفسد أجابتي فأجبت غير ذلك فأدخل شيئا أفسد جوابي، فجعلت كلما أجبت بشيء أفسده ثم قال لى: هذا الفقه الذي فيه الكتاب والسنة وأقاويل الناس يدخله مثل هذا، فكيف الكلام في رب العالمين الذي الزلل فيه كفر، فتركت الكلام فأقبلت على الفقه.

وأخرج من طريق عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه قال: سمعت محمد ابن داود قال: لم يحفظ في دهر الشافعي كله أنه تكلم في شيء من الأهواء ولا نسب إليه ولا عرف به مع بغضه لأهل الكلام والبدع.

أخرج من طريق عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه قال: كان الشافعي إذا ثبت عنده الخبر قلده وخير خصلة كانت فيه لم يكن يشتهى الكلام إنما هو الفقه.

وأخرج عن المزنى أن رجلا سأله عن شيء من الكلام فقال: إنى أكره هذا، بل أنهى عنه كما نهى عنه الشافعي فلقد سمعت الشافعي يقول: سئل مالك عن الكلام والتوحيد فقال مالك: محال أن نظن بالنبي ﷺ أنه علم أمته الاستنجاء ولم يعلمهم التوحيد والتوحيد ما قاله النبي ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله**»[1].فما عصم به الدم والمال حقيقة التوحيد.

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى رقم (١٣٩٩)، ومسلم رقم (١٣٣، ١٣٤، ١٣٧).

وأخرج عن الكرابيسي قال: شهدت الشافعي ودخل عليه بشر المريسي فقال لبشر: أخبرني عما تدعو إليه، أكتاب ناطق وفرض مفترض وسنة قائمة ووجدت عن السلف البحث فيه والسؤال؟ فقال بشر: لا إله إلا أنه لا يسعنا خلافه فقال الشافعي: أقررت بنفسك على الخطأ فيه، فأين أنت عن الكلام في الفقه والأخبار، تواليك الناس عليه وتترك هذا؟ قال: لنا نبذ فيه، فلما خرج بشر، قال الشافعي لا يفلح. وأخرج من طريق أبي داود وأبي ثور قالا: سمعنا الشافعي يقول: ما من أحد ارتدى بالكلام فأصلح.

وأخرج من طريق الحسين بن إسماعيل المحاملى[2] قال: قال المزنى: سألت الشافعي عن مسألة فى الكلام فقال: سلنى عن شيء إذا أخطأت فيه قلت أخطأت.. ولا تسألني عن شيء فإذا أخطأت فيه قلت كفرت.

وأخرج عن ابن عبد الله بن عبد الحكم[3] قال: قال لى الشافعى: يا محمد إذا سألك رجل عن شيء من الكلام فلا تجبْه، فإنه إذا سألك عن دينه فقلت درهما أو دانقا قال لك: أخطأت وإن سألك عن شيء من الكلام فزللت قال لك: كفرت.

وأخرج عن الربيع بن سليمان[1] سمعت الشافعى يقول: المراء في الدين يقسي القلب ويورث الضغائن.

وأخرج عن الربيع قال: قال لي الشافعي: يا ربيع اقبل مني ثلاثة أشياء. لا تخوض

---

(٢) الحسين بن إسماعيل المحاملي الضبي البغدادي بن عبد الله، توفى سنة ٣٣ ه
(٣) ابن أعين المصري. مات سنة ٢٨٦ ه
(١) الربيع بن سليمان بن عبد الله الجبار المرادي أبو محمد البصري. مات سنة ٢٧٠ ه



في أصحاب رسول الله ﷺ فإن خصمك النبي ﷺ يوم القيامة، ولا تشتغل بالكلام فإني قد اطلعت من أهل الكلام على التعطيل، ولا تشتغل بالنجوم فإنه يجر إلى التعطيل.

وأخرج عن المزني قال: كان الشافعي مذهبه الكراهية في الخوض في الكلام.

وأخرج عن الكرابيسي قال: سئل الشافعي عن شيء من الكلام فغضب وقال: سئل عن هذا حفص الفرد وأصحابه أخزاهم الله.

وأخرج عن محمد بن عبد العزيز الأشعري صاحب الشافعي قال: قال الشافعي: مذهبي في أهل الكلام تقنيع رءوسهم بالسياط وتشريدهم من البلاد.

وأخرج عن الكرابيسي قال: قال الشافعي: حكمي في أهل الكلام حكم عمرو في صبيغ.

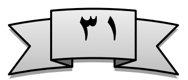
وأخرج عن أحمد بن خالد الخلال(٢): سمعت الشافعي يقول: ما ناظرت أحدا علمت أنه مقيم على بدعة.

وأخرج عن أبي ثور والكرابيسي والزعفراني(٣) قالوا: سمعنا الشافعى يقول: حكمى فى أهل الكلام أن يضربوا بالجريد ويحملوا على الإبل ويطاف بهم فى العشائر والقبائل وينادى عليهم (هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام).

---

(٢) أحمد بن خالد: أبو البغدادي مات سنة ٢٤٧ هـ

(٣) الزعفراني: الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني أبو على البغدادي،صاحب الشافعى توفى سنة ٢٦٠ هـ



وأخرج عن الزعفرانى قال: سمعت الشافعى يقول: ما ناظرت أحدًا فى الكلام إلا مرة وأنا أستغفر الله من ذلك.

وأخرج عن يونس بن عبد الأعلى سمعت الشافعى يقول: إذا سمعت الرجل يقول الاسم غير المسمى، والشيء غير المشيء، فاشهد عليه بالزندقة.

وأخرج عن الربيع سمعت الشافعى يقول فى كتاب الوصايا: لو أن رجلا أوصى بكتبه من العلم لآخر وكان فيها كتب الكلام لم يدخل فى الوصية لأنه ليس من العلم.

وأخرج عن المزنى سمعت الشافعي يقول: الكلام يلعن أهل الكلام.

وأخرج عن الربيع: سمعت الشافعي وهو نازل من الدرجة وقوم يتكلمون فى الكلام فصاح بهم وقال: إما أن تجاورونا بخير وإما أن تقوموا عنا.

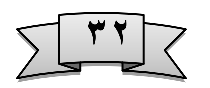
وأخرج عن أبى ثور قال: قلت للشافعي: ضعْ فى الكلام شيئا.. فقال: من ارتدى بالكلام لم يفلح.

وأخرج عن الزعفراني قال: كان الشافعي يكره الكلام وينهى عنه.

وأخرج عن الربيع قال: أشرف علينا الشافعي يوما – وفى الدار قوم قد أخذوا فى شيء من الكلام – فقال: إما أن تجاورونا بخير، وإما أن تنصرفوا عنا.

وأخرج عن المزني قال: كان الشافعي ينهى عن الخوض في الكلام.

وأخرج عن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم سمعت الشافعي يقول: لو علم الناس



ما في الكلام لفروا منه كما يفرون من الأسد.

وأخرج عن يونس بن عبد الأعلى قال: قالت أم الشافعي: إنه أبَى أن يجالسه حفص الفرد، قال الساجي: وكانت تكون معه يحملها معه إلى كل موضع.

وأخرج عن الشافعي قال: قالت لي أم المريسى: كلم بشرا أن يكف عن الكلام فكلمته فدعاني إلى الكلام.

وأخرج عن الربيع قال: سأل رجل الشافعي أن هذا يدعو إلى الكلام ونحن لا نجيب في شيء من الكلام.

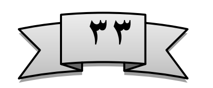
وأخرج ابن طريق بن خزيمة: سمعت يونس بن عبد الأعلى قال: قال الشافعي: لأن يبتلي الله المرء بما نهى عنه - خلا الشرك - خير من أن يبتليه بالكلام.

وأخرج عن الربيع قال: قال لي الشافعي: لو أردت أن أضع على كل مخالف كتابا كبيرا لفعلت، ولكن ليس الكلام من شأني ولا أحب أن ينسب إليَّ منه.

وأخرج عن الزعفراني قال: كان الشافعي يعتم بعمامة كبيرة كأنه أعرابي وبيده هراوة وكان أذرب الناس لسانا، وكان إذا خيض في مجلسه بالكلام نهى عنه، وقال: لسنا بأصحاب كلام.

وأخرج عن أبي حاتم[1] قال: قال بعض أصحاب الشافعي: حضر الشافعي وكلمه

(١) أبو حاتم: محمد بن إدريس بن المنذر الحنظلي أبو حاتم الرازي أحد الحفاظ. توفى سنة ٢٧٧هـ



رجل في مسجد الجامع في مسألة فطالت مناظرته له فخرج الرجل إلى شيء من الكلام فقال له: دع هذا فإن هذا من الكلام.

وأخرج عن الربيع قال: أنشدنا الشافعي في ذم الكلام:

لم يبرح الناس حتى أحدثوا بدع — في الدين بالرأي لم تبعث بها
حتى استخف بدين الله أكثرهم — وفي الذي حملوا من حقه شغ

هذا جميع ما أخرجه الهروى بأسانيده من نصوص الشافعي وأكثره مخرج فى مناقب الشافعي لابن أبي حاتم، وللساجي وللبيهقي.

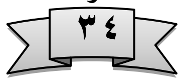
وأخرج عن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: كتب أبي إلى عبيد الله بن يحيى بن خاقان: لست بصاحب كلام ولا أرى الكلام فى شيء من هذا إلا ما كان فى كتاب الله أو فى حديث عن رسول الله ﷺ فأما غير ذلك فإن الكلام فيه غير محمود.

قال المؤلف: وقد استقصيت ذكر شدة كراهية أحمد بن حنبل للكلام والرأي وإنكاره على أهلهما فى كتاب مناقبه.

وأخرج عن محمد بن المثنى[(١)] قال: سمعت بشر الحافي[(٢)] ينهى عن مخاطبة أهل الأهواء كلهم ومناظرتهم.

---

(١) محمد بن المثني: بن عبيد الغبري أبو موسى البصري – مات بعد المائتين.
(٢) بشر الحافي: هو بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء بن هلال الماروزي أبو نصر الحافي أحد أعلام التصوف في مدرسة بغداد الصوفية. مات سنة ٢٢٧ هـ



وأخرج عن أحمد بن الوزير القاضي[٣] قال: قلت لأبى عمر الضرير[٤]: الرجل يتعلم شيئا من الكلام يرد به على أهل الجهل فقال: الكلام كله جهل وإنك كلما كنت بالجهل أعلم كنت بالعلم أجهل.

وأخرج عن على بن خشرم قال: كتب إليَّ بشر بن الحارث: لا تخالف الأئمة فإنه ما أفلح كلام قط.

وأخرج عن أبي عبيد القاسم بن سلام: أن رجلا قال له: ما تقول فى رأى أهل الكلام؟ فقال: لقد دلك ربك على سبيل الرشد وطريق الحق وقال: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩].

أما لك فيما دلك عليه ربك من كلامه وسنة نبيه ﷺ ما يغنيك عن الرجوع إلى رأيك وعقلك، وقد نهاك الله عن الكلام فى ذاته وصفاته إلا حسب ما أطلقه لك قال: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ [الأنعام: ٦٨].

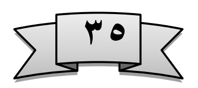
وأخرج عن الحسن اللؤلؤي قال: قال زفر بن الهذيل[٥]: قدمت الكوفة على عم لى فقال لي: ما أقدمك؟ قلت: طلب العلم فأتي بي إلى المسجد فإذا فيه حلق فأدناني من الحلقة العظيمة فقال: هؤلاء أصحاب الحديث إذا سمع الرجل منهم لوَقْتٍ وعُمْرٍ فصان

---

(٣) أحمد بن الوزير القاضي: أحمد بن يحيى بن الوزير بن سليمان التجي أبو عبد الله المصري. توفى سنة ٢٦٥هـ

(٤) أبو عمر الضرير: حفص بن عمر أبو عمر الضرير الأكبر. توفى سنة ٢١٠ هـ

(٥) زفر بن الهذيل بن قيس بن تميم



نفسه احتيج إليه..ثم أدناني من حلقة أخرى وقال: هؤلاء أهل الأدب والنحو وإذا بلغ الرجل منهم الغاية أجلس بين يديه جماعة يعلمهم.. ثم أدناني من حلقة أخرى قال: هؤلاء الشعراء إذا بلغ الرجل منهم الغاية مدح أو هجا.. ثم أدناني من حلقة أخرى فقال: هؤلاء أهل الكلام إذا بلغ الرجل منهم الغاية قيل زنديق أو مبتدع فاحذرهم.. ثم أدناني من حلقة أخرى فقال: هذا أبو حنيفة لا تأخذ عنه اليوم مسألة إلا احتيج لك فيها غدًا قال: فلزمته.

وأخرج عن إسحق بن راهويه أيضًا [١] أن عبد الله بن طاهر[٢] قال له: يا أبا يعقوب هذه الأحاديث التي ترونها في النزول ما هي؟ فقال له: أيها الأمير هذه الأحاديث رواها من روى الطهارة والغسل والصلاة والأحكام ونقلها العلماء ولا يجوز أن ترد هي كما جاءت بلا كيف، فإن يكونوا في هذه عدولاً، وإلا فقد ارتفعت الأحكام وبطل الشرع، فقال له: شفاك الله كما شفيتني.

وأخرج عن إسحق بن راهويه قال: لا يجوز الخوض في أمر الله كما يجوز الخوض في فعل المخلوقين لقول الله تعالى: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣] ولا يجوز لأحد أن يتوهم على الله بصفاته وأفعاله تعميم ما يجوز التفكير والنظر في أمر المخلوقين وذلك أنه يمكن أن يكون الله موصوفًا بالنزول كل ليلة، ولا يسأل كيف نزوله

(١) إسحق بن راهويه: إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي: أبو محمد بن راهويه المروزي. مات سنة ٢٢٨ هـ

(٢) عبد الله بن طاهر بن المحسن بن مصعب الخزاعي توفى سنة ٢٣٠

لأن الخالق يصنع ما شاء كما يشاء.

وأخرج عن ابن راهويه أنه قال: في الحديث: «**يجيء القرآن يوم القيامة في صورة الرجل، ويجيء العمل الصالح في أحسن صورة**» لا تدرك صفة هذا بالعقول، وقد نهينا عن تكلف علم هذا، وإنما علينا التعبد والاستسلام.

(الطبقة السابعة)

ثم قال: وأخرج فيه عن عثمان بن سعيد الدارمي قال: لا تكيف هذه الصفات ولا تكذب بها ولا تفسرها.

وأخرج عن عثمان بن سعيد قال: ما خاض في هذا الباب أحد ممن كانوا يذكرون إلا سقط.

وأخرج عن عثمان بن سعيد قال: (على تصديقها والإيمان بها) أدركنا أهل الفقه والبصر من مشايخنا ولا ينكرها منهم أحد ولا يمتنع من روايتها حتى ظهرت هذه العصابة فعارضت آثار رسول الله ﷺ برد.. فقالوا: كيف قلنا؟ لم نكلف كيفية في ديننا ولا نعقله بقلوبنا وليس كمثله شيء من خلقه فيشبه منه فعل أو صفة بفاعلهم وصفاتهم.

وأخرج عن أبي عبد الله محمد بن إبراهيم البوشنجي[1] أنه سئل عن الإيمان فقال: الواجب على جميع أهل العلم والإسلام أن يلزموا القصد للاتباع وأن يجعلوا الأصول التي نزل بها القرآن وأتت بها السنن من الرسول ﷺ غايات للعقول، ولا تجعلوا العقول غايات للأصول، فإن الله ﷻ ورسوله ﷺ قد يفرق بين المشتبهين ويباين بين المجتمعين في المعقول تعبدا وبلوى ومحنة، ومتى ورد على المرء وارد من وجوه العلم لا يبلغه عقله، أو تنفر منه نفسه، وينأى عنه فهمه، وتبعد عنه معرفته، وقف عنده واعترف بالتقصير عن إدراك علمه وبالحسور عن كنه معرفته، ويعلم أن الله ﷻ ورسوله ﷺ لو كشف عن علة ذلك

---

(١) أبو عبد الله محمد بن إبراهيم البوشنجي – توفى سنة ٢٩٠ هـ

الحادث، وأبان وأوضح عن سببه وعن المراد من مخرجه لأدركته عقولنا ولو كان كل ما أتي به الحكم من الله عَزَّ وَجَلَّ والأمر بتعبده أتانا مكشوفا بيانه موضحة علته لم تكن للعباد بلوى ولا محنة وإنما المحن الغلاظ والبلوى الشديدة للأمور والفروض التي لا تنكشف عليها ليسلِم العباد بها تسليما ويقفوا عندها إيمانا ولولا وصفنا كان الذي سبق إليه فكر العقول منا أن واجبا في كل ما سأل رسول الله ﷺ ربه عَزَّ وَجَلَّ أن يجيبه وأن ينزل عليه فيه شفاءً ليزداد الناس به علما ولملكوته فهما.

ولسنا نرى الأمر كذلك فقد سألوا رسول الله ﷺ وسأل رسول الله ﷺ ربه عَزَّ وَجَلَّ عن الروح فلما أجابه قال الله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [الإسراء: ٨٥].

وعلى ذلك خالف ربنا بين من أنزل من شرائعه وأعلام دينه ومعالم فروضه وعباداته في الأمم الخوالى فأحل لطائفة ما حرمه على أمة، وحرم على أمة ما أطلقه لغيرها من أمة، وحظر على آخرين ما أباحه لمن سواهم وكذلك الأمر فيما أنزل من كتبه وخالف بينها في أحكامها كالتوراة والإنجيل والزبور والفرقان، وصحف من مضى من الرسل ليسلم الموفق منهم لأمره ونهيه، وينكص المخذول منهم على عقبيه نفارا من التفريق بين المجتمعين وعن الجمع بين المتفرقين وعلموا أن السلامة فيما أنزل عليهم في الاتباع والتقليد لما أمروا به والإعراض عن طلب التكيف فيما أجمل لهم وعن الغلو والإيغال في التماس نهاياتها للوقوع على أقصى مداخلها إذ كان ذلك لا يبلغ أبدا فإن دون كل بيان بيانا،

وفوق كل متعلق غامض متعلق أغمض منه.

وإذا كان الأمر كذلك فالواجب الوقوف عند المُتَشَبِّه منه ومن أجل ذلك أثنى الله عَزَّوَجَلَّ على الراسخين في العلم بأنهم إذا أفضى ببعضهم الأمر إلى ما جهلوه آمنوا به ووكلوه إلى الله عَزَّوَجَلَّ ومن أجل ذلك ذم الله الغالين في طلب ما طوى عنهم علمه وطوى عنهم خبره فقال: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ٧].

ومن أجل بعض ما ذكرنا اشتد الخلفاء المهديون على ذوى الجدل والكلام في الدين وعلى ذوى المنازعات والخصومات في الإسلام والإيمان ومتى نجم منهم ناجم في دهر، أطفوه وأخمدوا ذكره وأنعموا عقوبته فمنهم من سيَّره إلى طرف ومنهم من ألزمه قعر محبس إشفاقا على الدين من فتنته وحذارا على المسلمين من خداعات شبهته كما فعله الإمام الموفق عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين سأله صبيغ عن (الذاريات ذروا) وأشباهه، فسيره إلى الشام وزجر الناس عن مجالسته.

وفعله على بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعبد الله بن سبأ فسيَّره إلى المدائن ولقد أتي محمد بن سيرين رجل من أهل الكلام فقال: ائذن لي أحدثك بحديث قال: لا أفعل.. قال: فأتلو عليك آية من كتاب الله قال: ولا هذا.. فقيل له في ذلك: فقال ابن سيرين: لم آمن أن يذكر لى ذكرًا يقدح به قلبي.

وقد بين الله ما بالعباد إليه حاجة في عاجلهم ومعادهم وأوضح لهم سبيل النجاة

والتهلكة وأمر ونهي وأحل وحرم وفرض وسن فما أمر العباد من أمر سلموا بإئتماره والعمل عليه وما نهى عنه من شيء سلموا بترك ركوبه ومتى عتوا عن ظاهر ما أمروا به ونهوا عنه ليبلغوا القصوى من غاية أمره ونهيه لم يؤمن عليه الحيرة ولا غلبة الشبهة على قلبه وفهمه.

ومن أجل ذلك، قال عبد الله بن مسعود ﵁: وما أنت بمحدِّث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم، إلا كان لبعضهم فتنة.

ولقد سأل سائل ابن عباس رضي الله عنهما عن آية من كتاب الله فقال: ما يؤمنك أن أخبرك بها فتكفر.

وقال أيوب السختياني: لا تحدِّثوا الناس بما يجهلون فتضروهم، وما منع الله تعالى رسوله محمدًا ﷺ البيان عن بعض ما سأله إلا وقد علم أن ذلك المنع إعطاء، وأن المنع أجدى على الأمة وأسلم لهم في بدئهم وعاقبتهم ولولا ذلك لكان من سأل من المشركين والأمم الكافرين ورسلهم وأنبيائهم الآيات وصنوف العجائب والبينات معذورين ولكانت الرسل في ترك إسعافهم مذمومين ولكان كلما سألوا عن آية دونها آية وفوقها أخرى حتى أفضى ببعضهم إلى أن سأله أن يروا ربهم جهرة.

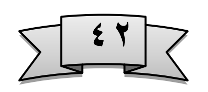
وسأل بعضهم رسولنا ﷺ عن الدليل على أمره تفجير الأنهار والينابيع، فقالوا: ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنبُوعًا﴾ [الإسراء: ٩٠] الآيات ولو كان الأمر في ذلك على عقول البشر، لقد كانوا يرون أن منعهم الدليل على صدق ما أتت

به أنبياؤهم ورسلهم غير نظر لهم، لأن زيادة البيان إلى البيان تسكين النفوس عن نفارها وطمأنينة القلوب وطيب طباع الإيمان غير أن الله منعهم ما سألوا إذ فوق ما سألوا آيات لا يوقف على منتهاها، فلم يكن يجب أن لو كان ذلك كذلك إيمان على أحد حتى يبلغ من غاية المعرفة بأمور الله ما أحاط به علم الله ثم كذلك الأمر الذي لا يعذر به عبد أن يسأله بل الأمر فيه إلى الله فيما يوفق ويخذل وفيما يبين وفيما يشرح ويمنع حتى يكون العباد في كل وقت مسلِّمين لأحكامه لا يتعقبونها بتكييف ولا مسألة عن غاية مراده فيها.

ولقد ذكر يونس بن عبد الأعلى عن الشافعي أنه قال: ما من ذنب يلقى الله به عبد الشرك بالله أعظم من أن يلقاه بهذا الكلام قال فقلت له: فإن صاحبنا الليث بن سعد كان يقول: لو رأيت رجلا من أهل الكلام يمشي على الماء فلا تركن إليه فقال الشافعي: لقد قصد إن رأيته يمشي في الهواء فلا تركن إليه وقال يونس بن عبد الأعلى عن الشافعي قال: مذهبي في أهل الكلام مذهب عمر في صبيغ، تقنع رءوسهم بالسياط، ويُسيرون من البلاد.

هذا الفصل أملاه البوشنجي، فدون تأليفًا مستقلاً، ويسمى مسألة التسليم لأمر الله والنهي عن الدخول في كيفيته.

والبوشنجي هذا من أئمة الشافعية قال ابن السبكي في الطبقات: كان من أجل الأئمة شيخ أهل الحديث في زمانه، شيع ابن خزيمة جنازته فسئل عن مسألة فقال: لا



أفنى حتى يواريه لحده.

وأخرج الهروى عن عبد الرحمن بن أبي حاتم: كان أَبَيُّ وأبو زرعة ينهيان عن مجالسة أهل الكلام والنظر في كتب المتكلمين ويقولان: لا يفلح صاحب الكلام أبدا وينكران وضع الكتب بالرأي بغير آثار ويأمران يهجران من يفعل ذلك.

وأخرج عن الزجاج النحوي قال: من أفنى عمره في طلب الخلاف لا يصلح له مأوى يأويه، ولا محل يكون فيه، فإن أخذ بظاهر الكتاب سَلِمَ في الآخرة من العتاب، وأخرج عن الهيثم بن كليب أنشدنا القتيبي في صفة أهل الكلام:

ودع من يقول بالكلام ناحيـ ... فما يقول الكلام ذو ور
كل فريق فبدؤهم حسـ ... ثم يصيرون بعد للشـ
أكثر ما فيه أن يقال لـ ... لم يك فى قوله بمنقطـ

وأخرج عن الهيثم قال: وأنشدنا القتيبي لعبد الله بن صعب:

ترى المرء يعجبه أن يقو ... وأسلم للمرء أن لا يقو
فأمسك عليك فضول الكلا ... فإن لكل كلام فضو
ولا تصحبن أخا بدعـ ... ولا تسمعن له الدهر قـيـ
فإن مقالتهم كالظلا ... توشك أفياؤها أن تزو
وقد أحكم الله آياتـ ... وكان الرسول عليها دلـيـ
وأوضح للمسلمين السبيـ ... فلا تقفون سواها سبيـ

وأخرج عن جعفر الفرغاني قال: سمعت الجنيد بن محمد[1] يقول: أقل ما في الكلام سقوط هيبة الرب من القلب والقلب إذا عرى من الهيبة بالله عرى من الإيمان.

وأخرج عن ممشاذ[2] الدينورى أنه كان كثيرا ما يقول: يا أصحابنا لابد من إحدى ثلاث: إما ركوب الأهوال ومباشرة الحقائق، وإما الاشتغال بالأوراد، وإما تعلم هذا العلم قبل أن يقصدكم أصحاب الكلام فيخرجوكم من دينكم.

وأخرج عن سهل[3] بن عبد الله قال: احتفظوا بالسواد على البياض فما أحد ترك الظاهر إلا خرج إلى الزندقة.

وأخرج عن سهل بن عبد الله في قوله: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٢] قال: على الإيمان والسنة، ﴿وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾، قال: الكفر والبدعة.

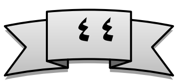
وأخرج عن أبي عمرو بن نجيد: سمعت أبا عثمان قال: من أمَّر السنة على نفسه تخلَّق بالحكمة. ومن أمَّر البدعة على نفسه نطق بالبدعة وقرأ: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ [النور: ٥٤].

---

(١) الجنيد بن محمد أبو القاسم الحزاز شيخ الصوفية ببغداد، ويذكر السامي [هو من أئمة القدم وسادتهم] توفى سنة سبع ومائتين، السامي: طبقات صـ١٥٦/١٥٧

(٢) ممشاذ الدينورى من كبار صوفية بغداد مات سنة تسع وتسعين ومائتين السامي طبقات صـ٣١٦

(٣) سهل بن عبد الله التسترى من كبار صوفية تستر. وعاش مدة في البصرة توفى سنة ٢٨٣ هالسامي: طبقات ٢٠٦ – ٢٠٨.



ذكر كــلام إمــام الحــرمين

ذكر كلام إمام الحرمين أبي المعالى الجويني(١) في ذلك قال ابن السمعاني في تاريخه: سمعت أبا روح الفرج بن أبي بكر الأرموى يقول: سمعت الفقيه غانما(٢) يقول: سمعت إمام الحرمين أبا المعالي الجويني يقول: لو استقبلت من أمرى ما استدبرت ما اشتغلت بالكلام وقال الأسنوى في طبقاته في ترجمة أبي الغنائم بن حسين الأرموى: جلس إلى إمام الحرمين وسأله أن يقرأ عليه شيئًا من علم الكلام فنهاه عن ذلك وقال: لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما قرأته(٣) وقال ابن الجوزي(٤) في تلبيس إبليس: كان أبو المعالى الجويني يقول: لقد خليت أهل الإسلام وعلومهم وركبت البحر الأعظم وغصت في كل ذلك في طلب الحق وهربا من التقليد والآن فقد رجعت عن الكل إلى كلمة الحق عليكم بدين العجائز فإن لم يدركني الحق بلطف فأموت على دين العجائز وتختم على فيه أمري بكلمة الإخلاص فالويل لابن الجويني وكان يقول لأصحابه: لا تشتغلوا بالكلام فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي ما بلغ ما تشاغلت به.

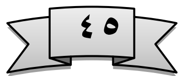
---

(١) إمام الحرمين – عبد الملك بن عبد الله بن يوسف – الجويني النيسابوري – المفكر الأشعري العظيم، توفى ليلة الأربعاء ٢٥ ربيع الآخر سنة ٤٧٨ هولإمام الحرمين ترجمة طويلة في طبقات الشافعية ج٣ صـ٢٥١ – ٢٨٢ وتبين كذب المفترى فيما نسب إلى الأشعري [طبعة الشام ١٣٤٧] صـ٢٧٨ – ٢٨٥

(٢) غانم بن عبد الواحد بن عبد الرحيم أبو بكر الأصبهاني توفى في رجب ٤٨١ هـ طبقات الشافعية جزء ٤ صـ٨.

(٣) ذكر السبكي في طبقات الشافعية هذه النصوص كلها. وشك في صدورها عن إمام الحرمين ج٢ صـ٢٦٠

(٤) ابن الجوزي – أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن أبي الحسن على بن محمد الحنبلي ولد تقريبا سنة ثمان وخمسمائة – وتوفى ليلة جمعة ثاني عشر رمضان سنة سبع وتسعين وخمسمائة ببغداد (جلاء العينين) للألوسي صـ٩٨.



ذكر كلام الغزالى

فى التفرقة بين الإيمان والزندقة

(ذكر كلام حجة الإسلام أبي حامد الغزالي في ذلك) قاله في كتابه التفرقة بين الإيمان والزندقة[1].

(فصل) من أشد الناس غلوًّا وإسرافا طائفة من المتكلمين كفروا عوام المسلمين زعموا أن من لا يعرف الكلام معرفتنا ولم يعرف العقائد الشرعية بأدلتها التي حررناها فهو كافر فهؤلاء ضيقوا رحمة الله على عباده أولاً وجعلوا الجنة وقفا على شرذمة يسيرة من المتكلمين ثم جهلوا ما تواتر من السنة ثانيًا إذ ظهر من عصر رسول الله ﷺ وعصر الصحابة رضي الله عنهم حكمهم بإسلام طوائف من أجلاف العرب كانوا مشتغلين بعبادة الوثن ولم يشتغلوا بتعليم الدليل ولو اشتغلوا بها لم يفهموها ومن ظن أن مدرك الإيمان الكلام والأدلة المحررة والتقسيمات المرتبة فقد أبعد..لا بل الإيمان نور يقذفه الله في قلب عبده عطية وهدية من عنده تارة بتنبيه من الباطن لا يمكن التعبير عنه وتارة بسبب رؤيا في المنام وتارة بقرينة حال رجل متدين وسراية نوره إليه عند صحبته ومجالسته وتارة بقرينة حال فقد جاء أعرابي إلى النبي ﷺ جاحدا له منكرا فلما بصره على طلعته البهية فرآها تتلألأ منها أنوار النبوة قال: والله ما هذا بوجه كذاب وسأل أن يعرض عليه

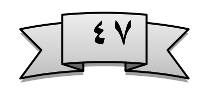
(١) نشر هذا الكتاب تحت اسم [فيصل التفرقة بين الإيمان والزندقة] [طبعة الخانجي سنة ١٣٤٣هوطبعة القاهرة أيضاً سنة ١٣٥٣هـ- ١٩٣٤م].

الإسلام وجاء ﷺ آخر فقال: أنشدك بالله.

آلله بعثك نبيًا؟ فقال: أي والله الله بعثني نبيا فصدقه بيمينه وأسلم وهذا وأمثاله مما لا يحصى ولم يشتغل واحد منهم بالكلام ويعلم الأدلة بل كان يبدو نور الإيمان أوَّلاً بمثل هذه القرائن في قلوبهم لمعة بيضاء ثم لا تزال تزداد إشراقا بمشاهدة تلك الأحوال العظيمة وبتلاوة القرآن وتصفية القلب فليت شعري متى نقل عن الرسول ﷺ وعن الصحابة إحضار أعرابي أسلم وقولهم له: الدليل على أن العالم حادث أن لا يخلو عن الأعراض، وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث وأن الله تعالى عالم بعلم وقادر بقدرة زائدةٍ على الذات لا هو ولا هو غيره إلى غير ذلك من رسوم المتكلمين.

ولست أقول لم تجر هذه الألفاظ بل لم يجر أيضًا ما عناه معنى هذه الألفاظ بل كان لا تنكشف ملحمة إلا عن جماعة من الأجلاف يسلمون تحت ظلال السيوف وجماعة من الأسارى يسلمون واحدا واحدا بعد طول الزمان أو على القرب فكانوا إذا نطقوا بكلمة الشهادة علموا الصلاة والزكاة وردوا إلى صناعتهم من رعاية الغنم أو غيرها نعم لست أنكر أن يكون ذكر أدلة المتكلمين أحد أسباب الإيمان في حق بعض الناس ولكن ليس ذلك بمقصور عليه وهو أيضًا نادر بل لا ينفع إلا الكلام الجارى في معرض الوعظ كما يشتمل عليه القرآن فأما الكلام المحرر على رسم المتكلمين فإنه يشعر نفوس المستفهمين بأن فيه صنعة جدل يعجز عنه العامي لا لكونه حقا في نفسه.

وبه يكون ذلك سببا لرسوخ العبادة في قلبه: ولذلك لا يرى مجلس مناظرة المتكلمين ولا الفقهاء يكشف عن واحد انتقل من الاعتزال إلى غيره ولا عن مذهب الشافعي إلى



مذهب أبي حنيفة ولا على العكس وتجرى هذه الانتقالات بأسباب أخر حتى في القتال بالسيف ولذلك لم تجر عادة السلف بالدعوة بهذه المجادلات بل شددوا القول على من يخوض في الكلام ويشتغل بالبحث والسؤال.

وإذا تركنا المداهنة ومراقبة الجوانب صرحنا بأن الخوض في الكلام حرام لكثرة الآفات إلا لأحد شخصين الأول: رجل وقعت له شبهة ليست تزول بكلام قريب وعظي عن قلبه ولا بخبر نقلي فيجوز أن يكون القول المرتب الكلامي رافعا شبهة تدخل له في مرضه فليستعمل معه ويحرس عنه سمع الصحيح الذي ليس به ذلك المرض فإنه يوشك أن يحرك في نفسه إشكالا ويثير له شبهة تمرضه وتستنزله عن اعتقاده المجزوم الصحيح والثاني: شخص كامل العقل راسخ القدم في الدين ثابت الإيمان بأنوار النفس يريد أن يحصِّل هذه الصنعة ليداوي بها مريضا إذا وقعت له شبهة وليفحم بها مبتدعا إذا -نبغ له - وليحرس به معتقده إذا قصد مبتدع إغواءه فتعلم ذلك لهذا الغرض.

من فروض الكفايات وتعلم قدر ما يزيل الشك والشبهة في حق المشكك فرض عين إذا لم يكن إعادة اعتقاده المحرم بطريق آخر سواه، والحق الصريح أن كل من اعتقد ما جاء به الرسول ﷺ واشتمل عليه القرآن اعتقادا حتميا فهو مؤمن وإن لم يعرف أدلته بل الإيمان المستفاد من الدليل الكلامي ضعيف جدا مشرف على التزلزل بكل شبهة بل الإيمان الراسخ إيمان العوام الحاصل في قلوبهم من الصِّبا بتواتر السماع والحاصل بعد البلوغ بقرائن لا يمكن التعبير عنها وتمام تأكده بملازمة العبادة والذكر فإن تأدت به العبادة إلى حقيقة التقوى وتطهير الباطن عن كدورات الدنيا وملازمة ذكر الله تعالى دائما تجلَّت له

أنوار المعرفة وصارت الأمور التي كان قد أخذها تقليدا عنده كالمعاينة والمشاهدة وذلك حقيقة المعرفة التي لا تحصل إلا بعد انحلال عقدة الاعتقادات وانشراح الصدر بنور الله: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، ﴿فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ [الزمر: ٢٢]، كما سئل رسول الله ﷺ عن معنى شرح الصدر فقال: نور يقذف في قلب المؤمن فقيل وما علامته؟ فقال: التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود فبهذا يعلم أن المتكلم المقبل على الدنيا المتهالك عليها غير مدرك حقيقة المعرفة ولو أدركها لتجافي عن دار الغرور قطعا.

كلام الغزالى فى الإحياء

وقال في الإحياء: المقصود من الكلام حماية المعتقدات التي نقلها أهل السنة عن السلف لا غيره وما وراء ذلك طلب لكشف حقائق الأمور منه بمعتقد مختصر وهو القدر الذي أوردناه في كتاب قواعد العقائد من جملة هذه الكتب والاقتصار فيه ما يبلغ قدر مائة ورقة وهو القدر الذي أوردناه في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد ويحتاج إليه لمناظرة مبتدع ومعارضة بدعة بما يفسدها وينزعها عن قلب العامي وذلك لا ينفع إلا مع العوام قبل اشتداد بعضهم.

وأما المبتدع بعد أن تعلم من الجدل ولو شيئا يسيرا فقل ما ينفع معه الكلام فإنك إن أفحمته لم يترك مذهبه وأحال بالقصور على نفسه وقدر أن عند غيره جوابا ما هو عاجز عنه وإنما أنت ملبس بقوة المجادلة.

وأما العامي إذا صرف عن الحق بنوع جدل فيمكن أن يرد إليه بمثله قبل أن يشتد التعصب في الأهواء – فإذا اشتد تعصبهم – انقطع الناس عنهم إذ التعصب سبب ترسخ العقائد في القلوب وهذا أيضًا من آفات علماء السوء فإنهم يبالغون في التعصب للحق وينظرون إلى المخالفين بعين الازدراء فينبعث منهم الدواعي بالمكافأة والمقابلة – ويتوفر بواعثهم على طلب نصرة الباطل – ويقوى غرضهم في التمسك بما نسبوا إليه.

ولو جاءوا من جانب اللطف والرحمة والنصح في الخلوة لا في معرض الغضب والتحقير لأنجحوا فيه ولكن ما كان الجاه لا يقوم إلا بالاستتباع ولا يستميل الأتباع مثل الغضب واللعن والشتم للخصوم اتخذوا التعصب عادتهم وآلهتهم.

(وسموه ذبا عن الدين ونضالا عن المسلمين وفيه على التحقيق هلاك الخلق ورسوخ البدعة في النفوس).

مناظرة جرت بين متّى بن يونس القنائى الفيلسوف وبين أبى سعيد السيرافى رحمة اللّه عليه

قال أبو حيان: ذكرت للوزير مناظرة جرت في مجلس الوزير أبي الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات بين أبي سعيد السيرافي وأبي بشر متَّى واختصرتها فقال لي: اكتب هذه المناظرة على التمام فإن شيئا يجري في ذلك المجلس النبيه ومن هذين الشيخين بحضرة أولئك الأعلام ينبغي أن يغتنم سماعه وتوعي فوائده ولا يتهاون بشيء منه فكتبت:

حدثني أبو سعيد بلُمَعٍ من هذه القصة فأما على بن عيسى النحوي الشيخ الصالح فإنه رواها مشروحة.

قالا: لما انعقد المجلس سنة عشرين وثلثمائة قال الوزير ابن الفرات للجماعة وفيهم الخالدي وابن الأخشيد والكندي وابن أبي بشر وابن رباح وابن كعب وأبو عمرو قدامة ابن جعفر والزهرى وعلى بن عيسى بن الجراح وأبو فراس وابن رشيد وابن عبد العزيز الهاشمي وابن يحيى العلوي ورسول ابن طغج من مصر والمرزباني صاحب بني سامان: أريد أن ينتدب منكم اثنان لمناظرة متَّى في حديث المنطق فإنه يقول: لا سبيل إلى معرفة الحق من الباطل والصدق من الكذب والخير من الشر والحجة من الشبهة والشك من اليقين إلا بما حويناه من المنطق وملكناه من القياس واستفدناه من واضعه على مراتبه وحدوده واطلعنا عليه من جهة اسمه على حقائقه فأحجم القوم وأطرقوا.

فقال ابن الفرات: والله إن فيكم لمن يفي بكلامه ومناظرته – وكسر ما يذهب إليه، وإني لأعدُّكم في العلم بحارا وللدين وأهله أنصارًا وللحق وطلابه منارًا فما هذا التغامز والتلامز اللذان تجلون عنهما؟.

فرفع أبو سعيد السيرافي رأسه – وقال: اعذر أيها الوزير فإن العلم المصون في الصدور غير العلم المعروض في هذا المجلس على الأسماع المصغية والعيون المحدقة والعقول الجامدة والألباب النافذة لأن هذا يستصحب الهيبة والهيبة مكسرة ويجتلب الحيا والحياء غلبة وليس البِراز في معركة غاصة كالمصراع[1] في بقعة خاصة فقال ابن الفرات: أنت لها يا أبا سعيد فاعتذارك عن غيرك يوجب عليك الانتصار لنفسك والانتصار لنفسك راجع على الجماعة بفضلك.

فقال أبو سعيد: مخالفة الوزير فيما يأمره هجنة والاحتجان عن رأيه إخلاد إلى التقصير ونعوذ بالله من زلة القدم وإياه نسأل عن حسن التوفيق في الحرب والسلم.

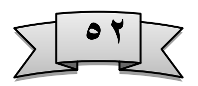
ثم واجه متَّى فقال: حدثني عن المنطق ما تعني به؟ فإنا إذا فهمنا مرادك فيه كان كلامنا معك في قبول صوابه ورد خطئه على سنن مرضي وعلى طريقة معروفة.

قال متَّى: أعني به أنه: آلة من الآلات يعرف به صحيح الكلام من سقيمه وفاسد المعنى من صالحه كالميزان فإني أعرف به الرجحان من النقصان والشائل من الجانح.

فقال له أبو سعيد: أخطأت لأن صحيح الكلام من سقيمه يعرف بالعقل إن كنا

---

(١) لعلها كالمصارعة.



نبحث بالعقل.. هَبْك عرفت الراجح من الناقص من طريق الوزن من ذلك بمعرفة الموزون؟ أهو حديد أو ذهب أو شبة أو رصاص؟ وأراك بعد معرفة الوزن فقير إلى معرفة جوهر الموزون وإلى معرفة قيمته وسائر صفاته التي يطول عدها فعلى هذا لم ينفعك الوزن الذي كان عليه اعتمادك وفي تحقيقه كان اجتهادك إلا نفعا يسيرا من وجه واحد وبقيت عليك وجوه كانت كما قال الأول:

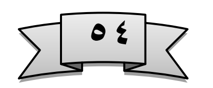
حفظت شيئًا وضاعت منك أشياء

وبعد: فقد ذهب عليك شيء ما هنا ليس كل ما في الدنيا موزون بل منها ما يوزن ومنها ما يكال وفيها ما يزرع وفيها ما يمسح وفيها ما يحرز وهذا وإن كان هكذا في الأجسام المرئية فإنه أيضًا على ذلك في المعقولات المقروءة والأجسام ظلال العقول وهي تحكيها بالتبعيد والتقريب مع الشبه المحفوظ والمماثلة الظاهرة ودع هذا إذا كان المنطق وضعه رجل من يونان على لغة أهلها واصطلاحهم عليها وما يتعارفونه بها من رسومها وصفاتها من أين يلزم الترك والهند والفرس والعرب أن ينظروا فيه؟ ويتخذوه حكما لهم وعليهم وقاضيا بينهم ما شهد له قبلوه وما أنكره رفضوه.

قال متَّى: إنما لزم ذلك لأن المنطق بحث في الأعراض المعقولة والمعاني المدركة وتصفح للخواطر السائحة الهاجسة والناس في المعقولات سواء ألا ترى أن أربعة وأربعة ثمانية عند جميع الأمم وكذلك ما أشبهه.

قال أبو سعيد: لو كانت المطلوبات بالعقل والمذكورات باللفظ ترجع مع شُعَبها المختلفة وطرائفها المتباينة إلى هذه المرتبة البينة في أربعة وأربعة أنهما ثمانية زال الاختلاف وحضر الاتفاق ولكن ليس الأمر هكذا ولقد موهت بهذا المثال ولكم عادة في مثل هذا التمويه ولكن ندع هذا أيضًا إذا كانت الأغراض المعقولة والمعاني المدركة لا يوصل إليها إلا باللغة الجامعة للأسماء والأفعال والحروف أفليس قد لزمت الحاجة إلى معرفة اللغة؟.

قال: نعم.



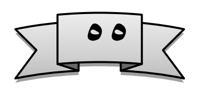
قال: أخطأت قل في هذا الموضع بلى: قال متَّى: بلى أنا أقلدك في مثل هذا قال أبو سعيد: فأنت إذن لست تدعونا إلى تعلم علم المنطق بل إلى تعلم اللغة اليونانية وأنت لا تعرف لغة يونان فكيف صرت تدعونا إلى لغة لا تفي بها وقد عفت منذ زمان طويل وباد أهلها وانقرض القوم الذين كانوا يتفاوضون بها ويتفاهمون أغراضهم بتصرفها على أنك تنقل من السريانية فما تقول في معان منحولة بالنقل من لغة يونان إلى لغة أخرى سريانية ثم من هذه إلى لغة أخرى عربية؟.

قال متى: يونان وإن بادت مع لغتها فإن الترجمة قد حفظت الأغراض وأدت المعاني وأخلصت الحقائق.

قال أبو سعيد: إذا سلمنا لك أن الترجمة صدقت وما كذبت وقومت وما حرفت ووزنت وما خزمت وأنها التأمت ولا حافت ولا نقصت ولا زادت ولا قدمت ولا أخرت ولا أخلَّت بمعنى الخاص والعام ولا بأخص الخاص ولا بأعم العام وإن كان هذا لا يكون وليس في طبائع اللغات ولا في مقادير المعاني فكأنك تقول بعد هذا: لا حجة إلا عقول يونان ولا برهان إلا ما وصفوه ولا حقيقة إلا ما أبرزوه.

قال متَّى: لا ولكنهم من بين الأمم أصحاب عناية بالحكمة والبحث عن ظاهر هذا العالم وباطنه وعن كل ما يتصل به وينفصل عنه وبفضل عنايتهم ظهر ما ظهر وانتشر ما انتشر وفشا ما فشا ونشأ ما نشأ من أنواع العلم وأصناف الصناعة ولم نجد هذا لغيرهم.

قال أبو سعيد: أخطأت وتعصبت ومِلْت مع الهوى فإن العلم مبثوث في هذا العالم



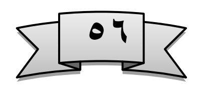
ولهذا قال القائل:

العلـــم فـــى العـــالم مبثـــود ونحـــوه العاقـــل محثـــود

وكذلك الصناعات مفضوضة على وجه الأرض ولهذا غلبة علم في مكان دون مكان وكثرت صناعة في بقعة دون صناعة وهذا واضح والزيادة عليه مشغولة ومع هذا فإنما كان يصح قولك وتسلم دعواك لو كانت يونان معروفة من بين جميع الأمم بالعصمة العالية والفطرة الظاهرة والبنية المخالفة وأنهم لو أرادوا أن يخطئوا ما قدروا ولو قصدوا أن يكذبوا ما استطاعوا وأن السكينة نزلت عليهم والحق تكفل بهم والخطأ تبرأ منهم والفضائل لصقت بأصولهم وفروعهم والرذائل بعدت عن جواهرهم وعروقهم وهذا جهل ممن يظنه بهم وعناد ممن يدعيه عليهم بل كانوا كغيرهم من الأمم يصيبون في أشياء ويصدقون في أمور ويكذبون في أمور ويحسنون في أحوال ويسيئون في أحوال.

وليس واضع المنطق يونان بأسرها وإنما هو رجل منهم وقد أخذ عمن قبله كما أخذ عنه من بعده وليس هو حجة على هذا الخلق الكثير وله مخالفون منهم ومن غيرهم ومع هذا فالاختلاف في الرأي والنظر والبحث والمسألة والجواب طبيعة فكيف يجوز أن يأتي رجل بشيء رفع به هذا الخلاف أو يخلخله أو يؤثر فيه؟ هيهات..هذا محال ولقد بقي العالم بعد منطقه على ما كان قبل منطقه فامسح وجهك بالسلوى عن شيء لا يستطاع لأنه معتقد بالفطرة والطباع.

وأنت فلو فرغت بالك وصرفت عنايتك إلى معرفة هذه اللغة التي تحاورنا بها وتجارينا فيها لعلمت أنك غني عن معاني يونان كما أنك غني عن لغة يونان.



وههنا مسألة: أتقول إن الناس عقولهم مختلفة وأنصباؤهم منها متفاوتة؟.

قال متَّى: نعم.

قال: فهذا الاختلاف والتفاوت بالطبيعة أو الاكتساب؟.

قال: بالطبيعة.

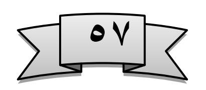
قال: فكيف يجوز أن يكون هاهنا شيء يرتفع به الاختلاف الطبيعي والتفاوت الأصلي؟.

قال متَّى: هذا قد مر في جملة كلامك آنفا.

قال أبو سعيد: فهل فصلته بجواب قاطع وبيان ناصع؟ ودَعْ هذا.. أسألك عن حرف واحد هو دائر في كلام العرب ومعانيه متميزة عند أهل العقل فاستخرج أنت معانيه من ناحية منطق أرسطاليس الذي تَدِلُّ به وتباهي بتفخيمه وهو حرف (الواو) ما أحكامه وكيف مواقعه وهل هو على وجه واحد أو على وجوه؟.

فبهت متَّى وقال: هذا نحو والنحو لم أنظر فيه لأنه لا حاجة بالمنطقي إلى النحو وبالنحو حاجة إلى المنطق؛ لأن المنطق يبحث عن المعنى والنحو يبحث عن اللفظ فإن مر المنطقي باللفظ فبالعرض وإن عبَّر النحوي بالمعني فبالعرض والمعنى أشرف من اللفظ واللفظ أوضع من المعنى.

قال أبو سعيد: أخطأت لأن المنطق واللغة واللفظ والإفصاح والإعراب والإنباء



والحديث والأخبار كلها من واد واحد بالمشاركة والمماثلة ألا ترى أن رجلا لو قال: نطق زيد بالحق ولكن ما تكلم بالحق وتكلم بالفحش ولكن ما قال الفحش لكان محرفا وواضعا للكلام في غير حقه ومستعملا للفظ على غير شهادة من عقله وعقل غيره والنحو منطق ولكنه مسلوخ من العربية والمنطق نحو ولكنه مفهوم باللغة وإنما الخلاف بين اللفظ والمعنى: أن اللفظ طبيعي والمعنى عقلي وقد بقيت أنت بلا اسم لصناعتك التي تنتجها وآلتك التي تزهى إلا أن تستعير من العربية لها اسما فتعار وإذا لم يكن لك بد من قليل هذه اللغة من أجل الترجمة فلابد لك أيضًا من كثيرها من أجل تحقيق الترجمة والتوقي من الخلة اللاحقة لك.

قال متَّى: يكفيني من لغتكم هذا الاسم والفعل والحرف فإني أتبلغ بهذا القدر إلى أغراض قد هذبتها إلى يونان.

قال أبو سعيد: أخطأت لأنك في هذا الاسم والفعل والحرف فقير إلى وضعها وبيانها على الترتيب الواقع في غرائز أهلها وكذلك أنت محتاج بعد هذا إلى حركات هذه الأسماء والأفعال والحروف فإن الخطأ والتحريف في الحركات كالخطأ والفساد في المتحركات وهذا باب أنت وأصحابك ورهطك عنه في غفلة على أن هاهنا سرا ما علق بك: وهو أن لغة من اللغات لا تطابق لغة أخرى من جميع جهاتها بحدود صفاتها في أسمائها وأفعالها وحروفها وتأليفها وتقديمها وتأخيرها واستعارتها وتحقيقها وتشديدها وسعتها وضيقها ونظمها ونثرها وسجعها ووزنها وميلها وغير ذلك مما يطول ذكره وما

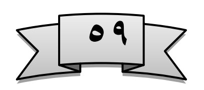
أظن أحدا يدفع هذا الحكم ويشك في صوابه ممن يرجع إلى مسكة من عقل أو نصيب من إنصاف فمن أين يجب أن تثق بشيء ترجم لك على هذا الوصف؟ بل أنت إلى أن تعرف اللغة العربية أحوج منك إلى أن تعرف المعاني اليونانية.

وحدثني عن قائل قال لك: حالي في معرفة الحقائق والتصفح لها والبحث عنها حال قوم كانوا قبل واضع المنطق، أنظُرُ كما نظروا وأتدَبَّرُ كما تدبروا، لأن اللغة قد عرفها بالمنشأ والوراثة والمعاني نَقَرْتُ عنها بالنظر والرأي ما تقول له؟ لا يصح له هذا الحكم ولا يستتب هذا الأمر لأنه لم يعرف هذه الموجودات من الطريقة التي عرفتها أنت ولعلك تفرح بتقليدك وإن كان على باطل أكثر مما تفرح باستبداده وإن كان على حق وهذا هو الجهل المبين والحكم الغير مستبين ومع هذا فحدثني عن (الواو) ما حكمه؟ إني أريد أن أبين أن تفخيمك للمنطق لا يغني عنك شيئًا وقد سألتك عن معني حرف واحد فكيف لو نثرت عليك الحروف كلها وطالبتك بمعانيها ومواضعها التي لها بالحق والتي لها بالتجوز.

فقال ابن الفرات: أيها الشيخ: أجبه بالبيان عن مواقع (الواو) حتى يكون أشد في إفحامه.

فشرع أبو سعيد في تبيين وجوه (الواو).

ثم قال: دع هذا هاهنا مسألة علاقتها بالمعنى العقلي أكثر من علاقتها بالشكل اللفظي ما تقول في قول القائل: زيد أفضل الإخوة؟.



قال: صحيح.

فقال: فما تقول في زيد أفضل إخوته؟.

قال: صحيح.

قال: فما الفرق بينهما مع الصحة؟ فغصَّ بريقه.

فقال أبو سعيد: أفتيت على غير بصيرة ولا استبانة.. المسألة الأولى: جوابك عنها صحيح وإن كنت غافلا عن وجه صحتها والمسألة الثانية: جوابك عنها غير صحيح وإن كنت أيضًا ذاهلا عن وجه بطلانها.

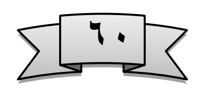
قال متَّى: بين مع هذا التهجين.

قال أبو سعيد: ليس هذا مكان التدريس هو مجلس إزالة التلبيس مع مَنْ عادته التمويه والتشبيه والجماعة تعلم أنك أخطأت فلم تدعِ أن النحوى إنما ينظر في اللفظ لا في المعنى والمنطقى ينظر في المعنى لا في اللفظ؟.

فقال ابن الفرات: يا أبا سعيد أتمم لنا كلامك في هذه المسألة.

فشرع في شرحها على التمام ثم قال ابن الفرات: سَلْهُ يا أبا سعيد عن مسألة أخرى فإن هذا كلما توالى عليه بان انقطاعه وانخفض ارتفاعه في المنطق الذي ينصره والحق الذي لا ينصره فسَلْهُ مسائل أخرى.

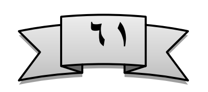
فقال متَّى: لو نثرت عليك أنا أيضا من مسائل المنطق أشياء لكان حالك كحالي.



قال أبو سعيد: أخطأت لأنك سألتني عن شيء أنظر فيه فإن كان له علاقة بالمعنى وضح لفظه على العادة الجارية أجبت ثم لا أبالي أن يكون موافقا أو يكون مخالفا وإن كان غير متعلق بالمعنى رددته عليك ثم أنتم هؤلاء في منطقكم على نقض ظاهر لأنكم تدَّعون الشعر ولا تعرفونه وتدَّعون الخطابة وأنتم عنها في منقطع التراب وقد سمعت قائلكم يقول: الحاجة ماسَّة إلى كتاب البرهان فإن كان كما قال فلم قطع الزمان بما قبله من الكتب؟ وإن كانت الحاجة قد مست إلى ما قبل البرهان فهي أيضًا ماسَّة إلى ما بعد البرهان وإلا فلِمَ صُنِّفَ ما يُستغنَى عنه؟.

هذا كله تخليط وتهويل ورعد وبرق وإنما بودكم أن تستغلوا جاهلا وتستذلوا عزيزا وغايتكم أن تهولوا بالجنس والنوع والخاصة والفصل وتقولوا: الأبنية والماهية والكيفية والكمية والذاتية ثم تتمطون وتقولون جئتنا بالسحر في قولنا وهذا بطريق الخلق وهذا بطريق الاختصاص وهذه كلها خرافات وتُرَّهات ومغالق وشبكات ومن جاد عقله وحسن تمييزه ولطف نظره وثقب رأيه وأنارت نفسه استغنى عن هذا كله بعون الله وفضله وما أعرف لاستطالتكم بالمنطق وجها ، وهذا أبو العباس قد نقض عليكم وتتبع طريقكم وبين خطأكم ولم تقدروا إلى اليوم أن تردوا عليه كلمة واحدة مما قال وما زدتم على قولكم لم يعرف أغراضنا ولا وقف على مرادنا وإنما تكلم على وهم وهذا رضى منكم بالعجز والكلول.

ثم قال: حدثنا هل فصلتم قط بالمنطق بين مختلفين أو رفعتم به الخلاف بين اثنين



وأنت لو عرفت تصرف العلماء والفقهاء في مسائلهم ووقفت على غورهم وغوصهم في استنباطهم وحسن تأويلهم وسعة تشقيقهم للوجوه المحتملة والكنايات المفيدة والجهات القريبة والبعيدة لحقرت نفسك وازدريت أصحابك ولكان ما ذهبوا إليه وتابعوا عليه أقل في عينك من السها عند القمر.

ثم عدَّ له أشياء من أُغلُوطاتهم وقال: ولولا التوقي من التطويل لسردت ذلك كله ولقد حدثت عنه بما يضحك الثكلي ويشمت العدو ويغم الصديق وما ورث ذلك كله إلا من بركات يونان وفوائد الفلسفة والمنطق فسَلِ الله عصمة وتوفيقا نهتدي بهما إلى القول الراجع إلى التفصيل والفعل الجاري على التعديل إنه سميع مجيب.. انتهت المناظرة.

قال أبو حيان التوحيدي[1]: انفض المجلس وأهله يتعجبون من أبي سعيد ولسانه المتصرف ووجهه المتهلل وفوائده المتتابعة وعظم في النفوس والصدور وأحبته القلوب وجرت بمدحه الألسنة.

وقال له الوزير بن الفرات: عيْن الله عليك أيها الشيخ فلقد نديت أكبادا وأقررت عيونا وبيضت وجوها وحِكْتَ طرازا لا تبكيه الأزمان ولا يتطرقه الحدثان.. وحدث أبو على الفسوي بما كان فكان يحسده على ما فاز به من هذا الخير المشهور والثناء المذكور.

---

(١) أبو حيان التوحيدي – على بن محمد بن العباس – المتكلم الصوفي، والتوحيدي من تلامذة السيرافي الحديث – طبقات الشافعية – ج٤ صـ١ ولم يكذر السبكي تاريخ وفاته ويرجح أن تكون سنة ٤٠٣ هالمقايسات [طبع السندوبي] المقدمة صـ١٨.

ذكر إنكار العلماء على من
أدخل المنطق فى أصول الفقه

تقدم فى كلام ابن الصلاح وأبي شامة[٢] والنووى وابن تيمية الإنكار على من فعل ذلك.

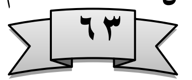
ذكر الإنكار على من
أدخل المنطق فى علم النحو

قال الإمام أبو محمد عبد الله بن السيد البطليموسي[١] في كتابه الموسوم بكتاب المسائل: وقع البحث بينه وبين رجل من أهل الأدب في مسائل نحوية فجعل يكثر من ذكر المحمول والموضوع والألفاظ المنطقية (فقلت) له: صناعة النحو يستعمل فيها مجازات ومسامحات لا يستعملها أهل المنطق وقد قال أهل الفلسفة: يجب حمل كل صناعة على القوانين المتعارفة بين أهلها وكانوا يرون أن إدخال صناعة في أخرى إنما يكون لجهل المتكلم أو لقصد المغالطة والاستراحة بالانتقال من صناعة إلى أخرى عند ضيق الكلام عليهم.

---

(٢) أبو شامة عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان الدمشقي – أبو شامة وأبو القاسم شهاب الدين توفى سنة ٦٦٥ هـ.

(١) البطليموسي – ولد سنة ٤٤٤هومات في رجب سنة ٥٣١ هببلقيسة – بغية الوعاة صـ٢١٨ وقد ذكر السيوطي في البغية كتاب المسائل هذا تحت اسم المسائل المنثورة في النحو.



قبل البدء

تنمية القدرة الجدلية

من مقتضيات الجدل أن يكون مبنيا على قضية عامة أو فكر سائد له ذيوع وانتشار وتأثير على الجمهور.. ومن الأمور المسلم بها أن يشتد أوار الخصومة ولهيبها عندما يكون (المتجادلون) على علم ودراية (ميدانية) لواقع ما يجادلون فيه وينافحون عنه وهذا في الواقع لا يأتي – عبثا – وإنما يكون نتاج فكر واعٍ ونضج في الفهم وقدرة على الاستنباط والاستنتاج ورصد النتائج وقوة الذاكرة والتعرف على المصطلحات الجديدة والتصورات الحديثة وربط الكل بالجزء والجزء بالكل والعكس – أعني ربط الكل بالكل والجزء بالجزء – لأنه من الممكن أن تتولد أمور من أمور تتطلب وجود غطاء علمي ومنهجي ومنطقي ليتم على أساسه التعامل مع الطوارئ والمستجدات وبوسعنا إلقاء الضوء على قضية هامة – قديمة حديثة – تثار من الحين إلى الحين بأشكال مختلفة ونزعات متضاربة كما في مفهوم ومصطلح (التجسيم الفني[1]) وهو مصطلح أدبي ونقدي حديث يغاير المصطلح الفكري الذي ظهر في التصور البشري القديم والذي يقوم على ضروب من التصور الخاطئ في وصف الباري – عز وجل – كتصورات اليهود التجسيمية لله سبحانه وتعالى.. وكتصور فرقة من الفرق الإسلامية المنقرضة عرفت بفرقة (المشبِّهة) و(المجسِّمة) رفضها الفكر الإسلامي القديم والحديث لخروجها عن مفاهيمه السليمة إذ كانت تلك الفرقة

(١) مجلة منار الإسلام العدد ٣٤٣ سبتمبر ٢٠٠٣ الدكتور: كاصد الزيدي صـ١٢ وما بعدها.

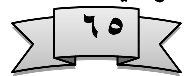
لجهلها وخطأ تصورها تحمل الصفات الإلهية التي جاءت في الآيات المتشابهة: كاليد والقبضة والعين والوجه والاستواء تحملها على ظواهرها في هذه الآيات من غير أن تعمد إلى تأويلها بما يلائم الذات الإلهية العليَّة كما في قول الله تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠] إذ ليسّ المراد باليد هنا العضو المعروف لتنزه الله تعالى عن الجوارح وعن صفات الأجسام وإنما المراد أن عقد الميثاق مع الرسول ﷺ كعقده مع الله ﷻ مع ما يؤكده في آية أخرى: ﴿مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠] – والمراد بذلك (بيعة الرضوان) وقد دلت الأدلة العقلية فضلا عن — النقلية – على أنه تعالى ليس بجسم ولا حالٍّ في جسم[١] فالتجسيم الذي يعنيه الكتاب والنقاد المعاصرون يراد به (التجسيم الفني) كتجسيم ما هو معنوى — عقلي أو نفسي — إذ تَغْدُ المدركات المعنوية التي لا يدركها الحس كأنها مدركات حسية لإضفاء صفة من صفات الحسِّ عليها كالثقل والخفة والحركة واللون وبذلك تدخل في (التجسيم الفني) كثير من المجازات الاستعارية والتشبيهات التي جيء بها لإحالة المعاني الذهنية والحالات العقلية والنفسية صورًا وهيئات حسية على سبيل التمثيل والتصوير والذي يقوم على أسس[٢] ثلاثة وهي:

١) التشخيص ٢) التجسيم ٣) التخييل.

ويرى الأستاذ سيد قطب رحمه الله أن: (التجسيم هو الأسلوب المفضل في تصوير

(١) التبيان في تفسير القرآن: لأبي جعفر الطوس صـ ٣٩ النجف.

(٢) الطبيعة في القرآن الكريم: د/ كاصد الزيدي صـ ٤٦٠ – بغداد ١٩٨٠ .



القرآن [٣]) وقد يدرك المجادل – المدرِك – من خلال هذا التصوير الذي يساعد على تنمية قدرته في الجدل أن القرآن الكريم قد يجسم الحسَّ المدرك بإحدى الحواس تجسيمًا فنيًا إظهارًا لما فيه من الدلالة على القدرة الإلهية المتصرفة في هذا الكون ومن الدلالة على الخير والمنفعة التي فيه كتجسيم الليل والنهار إذ هما محسوسان يدركان بحاسة البصر..

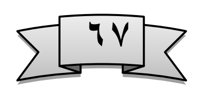
الأول: بظلمته ﴿إِذَا عَسْعَسَ﴾ [التكوير: ١٧] والثاني: بظهوره وتبلجه ﴿إِذَا تَنَفَّسَ﴾ [التكوير: ١٨] فجعلها التعبير الفني في القرآن كأنهما جسمين متداخلين في حركة الزمن المستمرة إذ أن الله تعالى: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ [الحج: ٦١] – وكما يجسم القرآن الزمن أيضًا كما في قول الله تعالى: ﴿وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٧] فوصفه – وهو زمان – ضرب من التجسيم الفني في التعبير ولذلك قال الزمخشري: (استعير الثقل لشدته وهَوْلِه من الشيء الثقيل الباهظ لحامله) ويرد ذلك أيضًا فيما يسمى (تجسيم المعنويات) والمقصود بها المدركات غير الحسية وهي العقلية والنفسية وهي على ضربين:

الأول: ما يدرك بالذهن والفكر.. والثاني: ما يستشعر بالنفس.. وكلاهما كثير الورود في القرآن الكريم وقد التفت إليه من اللغويين القدامى أبو الفتح عثمان بن جنيٍّ ت ٣٩٢ هحيث رأى أن التجسيم الفني ضرب مما سماه (الاتساع في اللغة) وضرب له مثلا من القرآن هو قوله تعالى: ﴿وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا﴾ [الأنبياء: ٨٦].

(٣) التصوير الفني في القرآن: سيد قطب دار المعارف صـ ٣٦ وما بعدها.

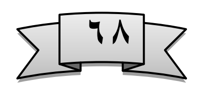


مبينا أن الله تعالى أخبر عن العَرَض بما يخبر به عن الجوهر وهذا تعالٍ بالعَرَض وتفخيم منه إذ صير إلى حيز ما يشاهد ويلمس ويعاين —كما أشار إلى هذا النوع من التجسيم الفني بعد ابن جني اللغوي: أبو هلال العسكري ت ٣٩٥ هـ- ومن بعدهما وكذلك عبد القاهر الجرجاني ت ٤٧٠ هوقد أشار الأخير في تعريفه للإشارة بقوله: (إن شئت أريتك المعاني اللطيفة – الخفيفة – التي هي من خبايا العقل وكأنها قد جسمت حتى رأتها العيون) – وقد سماه الراغب الأصفهاني ت ٤٢٠ هتجسيمًا كما سماه (تصويرًا) مدركا الصفة المزدوجة لهذا الضرب من الفن التعبيري بدقة فقد ذكر في تحليله لقول الله تعالى: ﴿فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾ [النحل: ١١٢] قوله: (جعل الله الجوع والخوف لباسا.. على التجسيم والتشبيه تصويرًا لهما) ثم نَظرَ بقول العرب: تدرع فلان الفقر.. ولبس الجوع ونحو ذلك.. ولنعد إلى النوع الأول وهو: التجسيم العقلي وقد عرف بأنه: إخراج المعاني الذهنية التي تدرك بالعقل بصور ما يدرك بالحس وذلك مثل: (الشك) كما في قوله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾ [الدخان: ٩] إذ جعل الشك وهو عقلي ساحة للعب أولئك المشركين بما يتعلق بدين الله الحنيف ورسالة نبيه ﷺ تصويرًا لعظم شكهم من جهة وتبيانا لخسارتهم من جهة أخرى إذا اللاعب في ما لا يصح اللعب فيه خاسر لأنه عابث.. ونظيره: (الفتنة) كما في قول الله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلاَ تَفْتِنِّي﴾ [التوبة: ٤٩] – فقد صور التعبير القرآني المنافقين بأنهم سقطوا في هوة المفتونين بالباطل عن دينهم وجاء الجواب مجسما تلك الفتنة التي تردَّوْا فيها تجسيما فنيا بقوله جَلَّ وعلا: ﴿أَلاَ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُواْ﴾ دالا في سياقه على سوء



مصيرهم، بهذا التعبير المؤكد بمؤكدين (إن) و(اللام) بقوله: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: ٤٩] إذ كان تخلفهم عن القتال في سبيل الله فتنة تردَّوْا فيها ويدرك (المجادل) الفطن بذكائه وفهمه بأن هذا النوع من التجسيم التعبيري في أنحاء كثيرة من آيات القرآن الكريم يخلص كلامه من – الحشو – ويبرهن على علوِّ مكانته في القدرة على الاستنباط – ولعل تعبيرا مثل تعبير (الكيد) وهو معنىً يعطينا صورة فنية مجسِّمة لأمر معنويٍّ – إذ هو شيء عقلي يتوصل بظاهره إلى مقصد خفيٍّ فلا يوصف المرء به أو ينسب إليه إلا وهو يدبر أمرًا بخفاء وأصله في اللغة: معالجة الشيء بشدة وقد جعله القرآن الكريم شيئا قابلا للتجمع والصَّفِّ تعبيرا عن ذلك الباطل المتراكم كما في قول الله تعالى: ﴿فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى﴾ [طه: ٦٠] فصوَّر الكيد مجموعا مع أن الذي جمعه فرعون لمنازلة موسى ﷺ هم السحرة – إذ كان (الكيد) عدَّتهم ووسيلتهم لإيهام الناس بسحرهم أنهم على الحق فلما انتهى الأمر بخسارتهم وبطلان كيدهم اتضحت الحقيقة لهم وصارت سببا في إيمانهم ونظير ذلك تجسيم ما هو معنوى تجسيما فنيا إعطاء (الكيد) في سياق آخر بعدا من الطول والعرض واستدراج الكفار كما في قول الله تعالى: ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [الأعراف: ١٨٣].

ومثل ذلك لفظ (الخوض) والذي جُسِّمَ له بمعنى الباطل كما في قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: ٩١].. إذ جعل (الخوض) وهو معنوي مساحة للعب اليهود الخاطئين حين أنكروا ما أنزل الله سبحانه على نبي الرحمة محمد ﷺ: ﴿إِذْ قَالُواْ مَا أَنزَلَ اللّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٩١] وفي هذا الاقتران الدلالي قد عبر



عن الاستهزاء بما هو حق وهذا سلوك دال على الباطل والجهل.. ومن التجسيم الفني لما هو معنوي تجسيم (الضلال) بوصفه بالبعد وذلك في قوله تعالى: ﴿بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ﴾ [سبأ: ٨] وفضلا عن ذلك ارتبط التجسيم الفني لما هو عقلي في التعبير القرآني بضروب من التخيل الرائع المصوِّر لحقائق الأشياء بدقة كتجسيم الحق والباطل وهما معنويان بتصوير الأول جسما قاتلا نازلا من عَلٍ مقذوفا على الثاني موديا بحياته كما في قول الله تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨].. وقد يأتي التصوير حركة متخيلة لها أثرها كما في قول الله تعالى: ﴿أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾ [الزخرف: ٧٩] فإذا كان المشركون قد – أبرموا أمرًا – فإن الله تعالى أبرم لهم من الأمر الشديد مالا يعلمه إلا هو مع ما يشعر به اسم الفاعل – هنا – من أنه تعالى أعدَّ لهم من يغلب كيدهم ويشتت أمرهم.

أما النوع الثاني فهو: التجسيم الفنِّي وهو: تصوير ما هو نفسي من المعنويات بصورة الحسِّ كتجسيم الخوف الشديد المعبر عنه بكلمة (الرعب) الذي صُوِّر وكأنه يُرمَى بشدة في قلوب اليهود كما قال الله تعالى: ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ [الأحزاب: ٢٦] فجعل الرعب شبيها بجسم حادٍّ نفذ إلى قلوب هؤلاء الكافرين المنكرين لرسالة سيد المرسلين ﷺ بحيث وقعوا بأيدي المسلمين بين قتيل وأسير إذ أصابهم الله تعالى بخوف شديد يقطع صاحبه عما يريد وقد ملأ نفوسهم معبرا عنه بلفظ (الرعب) الذي ترتب عليه ذلك النصر المبين عليهم – قال الراغب: الرعب: الانقطاع من امتلاء الخوف.. يقال: رعبته فرعب رعبا ولتصور الامتلاء قيل: رعبت الحوض أي

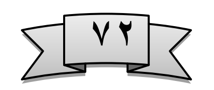
ملأته.. وسيل راعب: يملأ الوادي – وباعتبار القطع قيل: رعبت السنام قطعته.. ومن التصوير الفني لما هو نفسي في تعبير القرآن لفظ (الصبر) وكأنه ماء نازل من عَلٍ على نفوس سحرة فرعون بعد إيمانهم بموسى عليه السلام فهددهم فرعون بقوله: ﴿آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَن آذَنَ لَكُمْ﴾ [الأعراف: ١٢٣].. ثم توعدهم بالصلب وتقطيع الأيدي والأرجل من خلاف فلم يعبؤوا بوعيده بل سألوا الله الصبر على ما سيصيبهم قائلين: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٦] وكان التعبير القرآني الذي ردَّ بأسلوب التجسيم الفني الاستعاري المشعر باجتياح الداعين إلى صبر كبير لتحمل هذا التعذيب بدعائهم هنا.. والعرب يقول أفرغت الدلو: أي صببت ما فيه ومنه استعير هذا التعبير: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾.. كذلك من التجسيم الفني لما هو نفسي في التعبير القرآني تجسيم (السكينة) بوصفها نازلة على رسول الله ﷺ وعلى المؤمنين الذين جاهدوا معه ونلاحظ أن السكينة قد اقترنت بالفعل (أنزل) وذلك لمناسبة الإنزال دلاليا وفنيا للسكينة كما في قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَذَلِكَ جَزَاء الْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٦] – فازدوج العون الإلهي في هذا السياق من الداخل والخارج – فمن الداخل (السكينة) وهي الرحمة الإلهية التي غشيت نفوس المؤمنين.. ومن الخارج (الملائكة) التي قاتلت معهم حتى النصر.. ومن تجسيم ما هو نفسى في التعبير القرآني تصوير (العداوة والبغضاء) وهما نفسيان بصورة المحسوس الذي يلصق تارة ويلقى تارة وقد ورد في موضعين في شأن أهل الكتاب:

الأول: عبر عنه بإغراء العداوة في قوله عز وجل: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا

مِيثَاقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [المائدة: ١٤].

والثاني: في إلقاء العداوة وقد ورد في اليهود بتقوُّلهم على الله تعالى بما لا يليق به سبحانه.. إذ نسبوا إليه البخل وهو أكرم الأكرمين فضلا عن ازدياد كثير منهم بالطغيان والكفر لما أنزل الله على نبيه ﷺ من قرآن إذ جحدوه بعد أن عرفوه قال الله تعالى: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ [المائدة: ٦٤] وفي كلا التعبيرين (الإغراء والعداوة) تجسيم فني إذ في الأول معنى اللصوق والملازمة.. وفي الثاني معنى القذف والرَّمي.. لأن الإلقاء في أصل اللغة – طرح الشيء حيث تلقاه – أي تراه ثم صار في التعارف اسما لكل طرح.. وقد جُسِّم (الحب) المقدر في قوله تعالى في ذم اليهود الذين عبدوا العجل الذي صنعه السامري من ذهب: ﴿وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ [البقرة: ٩٣].. إذ التقدير هو: حب العجل وعبر عنه بالشرب دون الأكل لأن شرب الماء يتغلغل في الأعضاء حتى يصل إلى بواطنها وقد حذف المضاف وهو حب وأبقى المضاف إليه دالا عليه بقرينة سياقية هي (أُشرِبوا) إذ لا يوصف العجل بالإشراب في النفوس بل الذي يشرب هو حبه الذي حمل اليهودي على عبادته حتى صار ذلك سُبَّةً عليهم.. ومن تصوير ما هو نفسي تجسيم (الذل والمسكنة) حيث صوَّر التعبير القرآني الذل والمسكنة كالخيمة أو الفسطاط المضروب عليهم فلا مخرج ولا خلاص لهم وهو تصوير ما اشتمل على اليهود من الذل الشديد الذي عبر عنه القرآن بقوله: ﴿وَبَآؤُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ﴾ [آل عمران: ١١٢].. قال

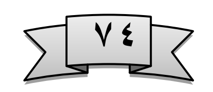
الزمخشري: فأحسن القول: (وضربت عليهم المسكنة كما يضرب البيت على أهله منهم ساكنون في المسكنة غير طاغين عنها وهم اليهود لعنة الله عليهم وغضبه).. كما جسم القرآن (الغرور) تجسيما نفسيا كما في قول الله تعالى: ﴿إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ [الملك: ٢٠] فكأن الغرور قد استحال إلى شيء مادي انغمر هؤلاء الكافرون في ربقته وهذا من روائع التصوير القرآني لغفلة هؤلاء الكافرين الذين غرتهم أمانيهم في الحياة الفانية كما وضح الله تعالى ذلك بقوله: ﴿وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ [الأعراف: ٥١] – وقوله: ﴿وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ﴾ [الحديد: ١٤] لا سيما وأن الغرور دال على غفلة في نوم فهي (غرار) وإن كانت في يقظة فهي (غرّة) والواقع أن هذا هو غرور الشيطان الذي وقعوا في ربقته إذ غرَّره بوسوسته لهم وبأن العذاب لا ينزل بهم.. أو هو من غرور أنفسهم في أن عبادة الأوثان تنفعهم.. هذا هو الفهم العام والتوظيف العقلي الصحيح لما يجب أن يكون عليه المجادل.. وفهم الخطاب القرآني (العقلي) لا ينحصر في العقل الوازع ولا في العقل المدرك ولا في العقل الذي يُناطُ به التأملُ الصادقُ والحكمُ الصحيحُ.. بل يعم الخطاب في الآيات القرآنية كل ما يتسع له الذهن الإنساني من خاصة أو وظيفة.. والعقل في مدلوله العام ولفظه العام: ملكة يناط بها الوازع الأخلاقي أو المنع من المحظور والمنكر.. ولا غرو عندئذ – أي عند إعمال الفكر والعقل– من (تلوين) الحوار الجدلي وافتراض الغريب من الأمور.. والقرآن الكريم مليء بالإعجاز الذي يمكِّن للمجادل الواعي من (تقليم) أظفار المكابرين بل ربما تجعلهم المجادلة الملائمة لفكرهم وثقافتهم ينضوون تحت لواء الحق.



ثبت المراجع

- إحياء علوم الدين حجة الإسلام ، الإمام الغزالى.
- تاريخ الجدل، الإمام محمد أبوزهرة.
- مجلة المسلم المعاصر ، مجموعة من العلماء.
- أبحاث فى علم الكلام، مجموعة من العلماء .

الفهــرس




الحمد لله رب العالمين

